

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر رمضان

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر رمضان الجزء التاسع من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٤ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٣ / ١٤٤٥
ردمك :٢-٣٠٣-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



إهـــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عزَّ وجلَّ بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفِّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ.





مُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القارئ الكريم الجزء التاسع من كتاب "٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيَّام السنة الهجريَّة بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كلِّ يومٍ يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيَّام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر رمضان ، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid63@gmail.com

الرياض

شهر رمضان ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر رمضان



غرة رمضان

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

شهر رمضان الكريم أحد الأشهر العربية المعروفة بالقمرية أو الهلالية، وهو الشهر التاسع من شهور السنة بحسب التقويم الهجري.

وفيما يأتي أقوال العلماء في اشتقاق اسم رمضان:-

القول الأول: أنَّ شهر رمضان وافق زمن الحرِّ وشدَّته وقساوته على الناس، فسُمِّي بذلك لارتماض العرب حرَّ الجوع وشدَّته، وبناءً على ذلك فيكون اشتقاق اسم رمضان من الرمض، والذي يعني حرَّ الحجارة بسبب حرارة الشمس(١).القول الثاني: أنَّ رمضان مُشتقٌّ من الرمضاء، والرمضاء هو المطر الذي يأتي قُبيل الخريف، ويُطهِّر وجه الأرض من الغبار، واللطيفة في ذلك أنَّ شهر رمضان يُطهِّر المسلمين من الذنوب كما يُطهِّر المطر وجه الأرض من الغبار(٢). وشهر رمضان من أكثر شهور السنة بركةً ورحمةً؛ فقد اختصَّه الله تعالى بفضائل عظيمةٍ؛ إذ أنزل القرآن الكريم فيه، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(٣)، وكان نزوله في العشر الأواخر من رمضان، في ليلةٍ مباركةٍ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾(٤)؛ حيث نزل القرآن الكريم كاملًا من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا في ليلة القدر، كما قال تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾(٥)، ثم نزل مُفرَّقًا على النبي صلى الله عليه وسلم، وقِيل: إنَّ نزول

---

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٣٩). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٢) ينظر: الغنية لطالبي طريق الحق (٢/ ٨). الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (المتوفى: ٥٦١هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمنصلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) الدخان: ٣.

(٥) القدر: ١ – ٥.



القرآن بدأ ليلة القدر، مع الإشارة إلى أنَّ القرآن كلَّهيُسمَّى قرآنًا، وكذلك الآية الواحدة منه، وقيل أيضًا: إنَّ نزول القرآن بدأ في شهر رمضان(١)؛ وكان القرآن يُعرَض على النبي صلى الله عليه وسلم من قبل جبريل– عليه السلام– في رمضان، كما روى الإمام البخاري:" أَنَّ جِبرِيلَ– عليه السَّلامُ– كان يُعارِضُ النبي صلى الله عليه وسلم بالقُرآنِ مَرَّةً واحِدةً كُلَّ عامٍ"(٢). ولذلك اعتُبِرَ شهر رمضان شهر القرآن، قال سفيان الثوري في رمضان: إنَّما هو إطعام الطعام، وقراءة القرآن، فينبغي على المسلم أن يتأسَّى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يُدارس القرآن مَن هو أحفظ له منه في هذا الشهر المبارك(٣). قال الشيخ العلامة ابن عثيمين– رحمه الله– قوله: ﴿ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (٤)، ﴿هُدًى﴾ من الهداية وهي الدلالة، فالقرآن دلالة للناس يستدلُّون به على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وقوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ عامَّة، كلُّ الناس يهتدون به؛ المؤمن والكافر يهتدون به الهداية العلميَّة، أمَّا الهداية العمليَّة فإنَّه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما في أول السورة: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، فهو للمتقين هداية علميَّة وعمليَّة، وهو للناس عمومًا هداية علميَّة. ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ الفرقان مصدر أو اسم مصدر: فَرَّقَ، يُفَرِّقُ، تَفْرِيقًا، وفُرْقَانًا، فهو– أي القرآن– فرقان يُفرِّق بين الحقِّ والباطل، وبين الشرِّ والخير، وبين حزب الله وحرب الله، وبين النافع والضار، فرقان في كل شيء؛ ولهذا الموفَّق لهداية القرآن يجد الفرق العظيم تأثير ما دلَّ عليه القرآن، والإنسان الذي في قلبه زيغ– والعياذ بالله– تشتبه عليه الأمور، ولا يستطيع أن يُفرِّق بين الأمور المختلفة، قد تشتبه عليه الأمور

---

(١) ينظر: مجالس رمضان – أحمد فريد (٩/ ٢). مجالس رمضان، المؤلف: أحمد فريد، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٤) برقم (٣٦٢٤) كتاب المناقب باب علامات النلوة في الإسلام، ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي». ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٤) برقم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٣) ينظر: مجالس رمضان – أحمد فريد (٩/ ٢).

(٤) البقرة: ١٨٥.



وتلتبس،فلا يُفرِّق بين مختلفها، ولا يجمع بين ما توافق فيه موافقة؛ فالقرآن الكريم يُعدُّ سببًا من أسباب زيادة الإيمان[١].والقرآن من أعظم القربات في رمضان، ولقد شرِعت عبادة تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُطيل القراءة في صلاة القيام في شهر رمضان؛ بدليل ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، عن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- أنَّه قال:" صَلَّيْتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلتُ: يُصَلِّي بهَا في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلتُ: يَرْكَعُ بهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا"[٢]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإطالة في الصلاة تنحصر فيمَن يُصلي منفردًا، أو إمامًا لجماعةٍ يرضون الإطالة في الصلاة، وعلى الإمام أن يترفَّق بحال المصلِّين، على أنَّ قراءة القرآن لا تنحصر في الصلاة، فيقرأ في الصلاة وخارجها.

وفضْل قراءة القرآن في رمضان من أعظم الأعمال عند الله عز وجل؛ إذ تعظم فيه الأجور والمنازل، كما أنَّ الإكثار من تلاوة القرآن وتدبُّره من أسباب الشفاعة يوم القيامة، كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" اقْرَأُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ"[٣]، وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه قال:" الصِّيامُ والقرآنُ يشفَعانِ للعبدِ يومَ القيامةِ، يقولُ الصِّيامُ: أي ربِّ؛ منعتُهُ الطَّعامَ والشَّهواتِ بالنَّهارِ فشفِّعني فيهِ، ويقولُ القرآنُ: منعتُهُ النَّومَ باللَّيلِ فشفِّعني فيهِ، قالَ: فَيشفَّعانِ" رواه أحمد[٤].

(١)ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٣٤). تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ..

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٤) برقم (٢٤٥٠)كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٣) برقم (٢٤٥٠)كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٩٩) برقم (٦٦٢٦). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦١٢). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.



وقراءة الحرف من القرآن الكريم بحسنةٍ، والحسنة تُضاعَف بعشرة أمثال، كما ورد عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فلَهُ بِهِ حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقول: الم حرفٌ، ولَكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ" رواه الترمذي(١).

والخلاصة أنَّ واجب المسلم تجاه القرآن في شهر رمضان تلاوته، والحرص على ختمه عدَّة مرَّات؛ وحفْظ شيء منه ولو كان يسيرًا، وتخصيص وقت للتدبُّر والتأمُّل فيما نصَّت عليه الآيات القرآنية، واستنباط الحكم والعبر منها، وقراءة شيءٍ من التفسير؛ إذ لا بدَّ من التدبُّر والتفكُّر في آيات القرآن حين تلاوتها، مع الحرص على حضور القلب أيضًا، ويتحقَّق بما سبق استثمار أوقات رمضان؛ اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. كما ورد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر جودًا في رمضان، ومن الجود الاعتناء بالقرآن الكريم، ومُدارسته، وتلاوته، والتفكُّر والتدبُّر في معانيه ودلالاته، فقد رُوي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-:"كانَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أجودَ النَّاسِ، وَكانَ أجودَ ما يَكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ، وَكانَ جبريلُ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من شَهرِ رمضانَ فيدارسُهُ القرآنَ" رواه البخاري(٢)، ولقد بيَّن الإمام النووي- رحمه الله- العديد من الفوائد المترتِّبة على الحديث السابق، منها: استحباب الإكثار من الجود في رمضان، وحين ملاقاة العباد الصالحين، واستحباب مُدارسة القرآن؛ إذ إنَّ مدارسة القرآن تُجدِّد عهد النفس بالغِنى الذي يُعَدُّ سببًا من أسباب الجود والسَخاء(٣).

وأخيرًا قال الشاعر:

قــفْ إنَّهــا بجلالهــا الآياتُ ... فيهـا هُـدًى وسـكينةٌ وثبـاتُ

رتِّلْ وجوِّدْ- ما استطـعتَ- حروفَها ... وابسـطْ فؤادَكَ إنَّها النفحاتُ(٤)

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٥٩). سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٦) بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٣) برقم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٦٩). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٤) لم أقف على قائلها، لكنها ذكرت في عدد من المواقع. ينظر:
https://alotruja.tumblr.com/post/76226419205/%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%AC%D9%85%D9%8A%D9%84%D9%87-



٢ رمضان

حال السلف في شهر رمضان

خصَّ الله عز وجل شهر رمضان بالكثير من الخصائص والفضائل، فهو شهر نزول القرآن، وهو شهر التوبة والمغفرة وتكفير الذنوب والسيئات، وفيه العتق من النار، وفيه تُفتَح أبواب الجنان، وتُغلَق أبواب النيران، وتُصفَّد الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر الجود والإحسان، وهو شهر الدعاء المستجاب؛ لذا فقد عرف السلف الصالح قيمة هذا الموسم المبارك؛ فشمَّروا فيه عن ساعد الجد، واجتهدوا في العمل الصالح طمعًا في مرضاة الله ورجاء في تحصيل ثوابه.

قال ابن القيم- رحمه الله تعالى- في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد: وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان: الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل- عليه الصلاة والسلام- يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يُكثر فيه الصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن والصلاة والذكْر، والاعتكاف، وكان يخصُّ رمضان من العبادة ما لا يخصُّ غيره به من الشهور، حتَّى إنَّه كان ليواصل فيه أحيانًا ليُوفِّر ساعات ليله ونهاره على العبادة[(١)].

ولقد كان السلف الصالح يهتمون برمضان اهتمامًا بالغًا، ويحرصون على استغلاله في الطاعات والقُرُبات، كانوا سبَّاقين إلى الخير، تائبين إلى الله من الخطايا في كل حين، فما من مجال من مجالات البِر إلَّا ولهم فيه اليد الطولى، وخاصَّة في مواسم الخيرات، ومضاعفة الحسنات، ولقد كان ثمة مواقف تاريخية للسلف الصالح في رمضان تنمُّ عن تعظيمهم لهذا الشهر المبارك، ولا سيما أنَّ تعظيم شعائر الله دليلٌ على حُسْن إيمان المسلم لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[(٢)]، فقد كان للسلف الصالح في قيام الليل مذاهب في رمضان تُخطُّ بماء الذهب لشدَّة ما يلقى فيها المؤمن من ورعٍ واضحٍ، وتقوى لله تعالى في السر قبل العلن، فيروي أبو عثمان النهدي أنَّ أبا هريرة

%D8%AC%D8%AF%D8%A7-%D8%B9%D9%86-
%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-
%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٠). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) الحج: ٣٢.



وامرأته وخادمه- رضي الله عنهم- كانوا يُقسِّمون الليل ثلاثة أقسام للقيام؛ فكلَّما أراد واحدٌ منهم أن ينام أيقظ صاحبه فقام، حتى ينقضي الثلث الذي يقوم فيه(١).

وأمَّا شدَّاد بن أوس- رضي الله عنه- فقد كان إذا أوى إلى فراشه لم يستطع النوم وكان يقول: اللهمَّ إنَّ جهنم لا تدعني أنام، فكان يقوم فيُصلِّي(٢). وكان طاوس يقول: طيَّرَ ذِكْرُ جهنَّم نوم العابدين(٣). وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه كان يقوم الليل في بيته، فإذا انصرف الناس من المسجد أخذ إداوة ماء وقصد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخرج منه حتى يُصلِّي الفجر(٤). وقيام الليل هو ديدن الصالحين ودأبهم منذ فجر الإسلام؛ إذ فيه يناجون ربَّهم بعد أن يهجع الناس ويرقدون، ولا يبقى إلَّا من اصطفاه الله تعالى لهذه العبادة العظيمة، فقد كان الحسن البصري- رحمه الله- يقول: لم أجدْ شيئًا من العبادة أشدَّ من الصلاة في جوف الليل(٥).

ولقد ثبت أنَّهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يُبلِّغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبَّل منهم.

قال عبد العزيز بن أبي روَّاد: أدركتُهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمُّ: أيُقبَل منهم أم لا؟(٦).ونجد أنَّ حال السلف مع القرآن في رمضان حال المستنفر نفسه لارتقاء المعالي، فهذا الإمام البخاري- رحمه الله- كان إذا كان أول ليلة من شهر رمضان؛ يجتمع إليه أصحابه فيصلِّي

---

(١) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٨٢). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٣٢) برقم (٣٥٥٩٧). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٣) ذكره ابن رجب في التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ٣٧). التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: بشير محمد عيون، دار النشر: مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ – ١٩٨٨.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٦٩٦) برقم (٤٢٨٠). السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٥) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص: ٢١٠) برقم (١٤٥٢). الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٩). روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.



بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة[(١)].

ومن ذلك ما كان يفعله الإمام مالك إمام دار الهجرة في رمضان؛ فقد كان يُغلق كتبه، ويمتنع عن الفتيا، ويُقبل على قراءة القرآن من المصحف، وكذلك كان الإمام الشافعي إذا جاء رمضان فإنَّه يختم القرآن في كل يومٍ مرتين؛ أي: ستين مرة في رمضان، وكان الإمام أحمد بن حنبل يختم القرآن في رمضان ختمتين في الأسبوع، وفي غير رمضان كان يختمه مرة كل أسبوع، وكان سعيد بن جبير يختم القرآن في كل ليلتين، وأما قتادة السدوسي فقد كان يختم القرآن في رمضان في كل ثلاث ليالٍ، فإذا جاءت العشر الأواخر ختمه مرة في كل ليلة، وفيما دون رمضان كان يختمه في كل أسبوع مرة[(٢)].

أمَّا عن حال السلف مع العشر الأواخر من رمضان فهو القيام دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين؛ ففي الليل يخلو المؤمنون بربِّهم ويتوجَّهون إلى خالقهم وبارئهم، فيشكون إليه أحوالهم ويسألونه من فضله، فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسَّم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرَّع إلى عظيم العطايا والهبات، وقد أدرك سلفنا الصالح هذه المعاني العظام، فنصبوا أقدامهم في محراب الإيمان، يمضون نهارهم بالصيام، ويحيون ليلهم بالقيام، ولعل ذلك الاجتهاد في تلك الأيام راجع لأن ليلة القدر قد أُخفيت في هذه الأيام العشر، فكان الصحابة ومن جاء بعدهم يسيرون على نهجه في هذه الأيام، فقد كان عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- يصلي في الليل في تلك الأيام ما شاء الله له، ثم يوقظ أهله وهو يتلو: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[(٣)(٤)].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٥٢٥). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر حال الأئمة في رمضان في: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٢٢٢). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣هـ.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) رواه البيهقي في السنن الصغير (١/ ٢٨٩) برقم (٨٠٢). والأثر صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٣٩٠).

وكانت امرأة أحد الصالحين تقول: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا[(١)].

ويُستحَبُّ للمرء أن يوقظ أهله لقيام الليل للحديث الذي رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" رحِمَ اللَّهُ رجلًا قامَ منَ اللَّيلِ فصلَّى وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّت، فإن أبَت نضحَ في وجهِها الماءَ، رحِمَ اللَّهُ امرأةً قامَت منَ اللَّيلِ فَصلَّت وأيقَظَت زَوجَها، فإن أبَى نضَحَت في وجهِهِ الماءَ" رواه أبو داود[(٢)].

وذكر الحافظ الذهبي عن أبي محمد اللبان أنَّه أدرك رمضان سنة سبع وعشرين وأربعمائة ببغداد، فصلَّى بالناس التراويح في جميع الشهر، فكان إذا فرغها لا يزال يُصلِّي في المسجد إلى الفجر، فإذا صلَّى درس أصحابه. وكان يقول: لم أضع جنبي للنوم في هذا الشهر ليلًا ولا نهارًا. وكان ورده لنفسه سبعًا مرتلًا[(٣)].

ختامًا: فلا بُدَّ أن نُذكِّر أنفسنا بشيء من حياة سلفنا الصالح؛ حتى يزداد إيماننا، وتقوى صلتنا بخالقنا، وحتى تقوى عزائمنا، وتشحذ هممنا، فنقتدي بهم- نرجو من الله ذلك.

---

(١) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٦). لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٢)رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٣٧٢) برقم (٧٤٠٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٣) برقم (١٣٠٨) أبواب قيام الليل باب قيام الليل. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١١٥) برقم (١٣٠٢) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، الترغيب في قيام الليل. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٤) برقم (١٣٣٦) كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ١٧١). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٣) تاريخ الإسلام (٩/ ٦٨٢). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

اللهُ يجــزي الصــائمين لأنَّهــم | مِن أجله سخروا بكل صعابِ
لا يــدخل الــريَّانَ إلَّا صــائمٌ | أكرِمْ ببابِ الصومِ في الأبوابِ
ووقــاهُمُ المــولى بحــرِّ نهــارِهم | ريحَ السَّمومِ وشرَّ كلِّ عذابِ
وسُقُوا رحيقَ السلسبيل مِزاجُهُ | مِن زنجبيلٍ فاقَ كُلَّ شرابِ
هذا جـــزاءُ الصائمين لربِّهم | سُـعِدُوا بخيرِ كرامةٍ وجنابِ[1]

---

(١)ينظر: موقع وقفنا. https://waqfuna.com/waqf/?p=2046

٣رمضان

أيامًا معدودات

لا شكَّ أن التعبير القرآني البليغ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[(١)]؛ يأتي في سياق إشعار المسلم بسرعة حركة الزمن، ومنها بالطبع سرعة مرور أيام شهر رمضان، ورحيلها على عجل، ولعل هذا الخطاب القرآني البليغ يأتي ليُنبِّهنا في جانب من مُراداته بهذه الصيغة، حثًّا للمسلم على ضرورة اغتنام فرصة الزمن في العبادة، والحرص على أداء ما تتطلَّبه من صلاة وصيام وتلاوة القرآن؛ لما فيه من الثواب العظيم، ينبغي ألا يفوت المسلم بأي حال من الأحوال، فعلى المسلم أن يحرص على استغلال كل لحظة من أيام العمر. ولقد وردت الصفة {معدودة} بصيغة الإفراد في ثلاث آيات في القرآن الكريم: الأولى قوله تعالى:﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[(٢)]، والثانية قوله تعالى:﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[(٣)]، والثالثة قوله تعالى:﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[(٤)]. ووردت هذه الصفة بصيغة الجمع {معدودات} في ثلاث آيات أيضًا، وردت جميعها وصفًا لـ (أيام)، الأولى قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[(٥)]، وردت بعد الحديث عن فرضية صيام رمضان، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾[(٦)]، قال الشيخ ابن باز– رحمه الله–: هذه أيام التشريق يوم: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، ليس منها يوم العيد، كلها مشروع فيها الذكر من أولها إلى آخرها؛ من اليوم الأول من شهر ذي الحجة إلى اليوم الثالث عشر، كلها أيا ذكر وتكبير وتهليل، ويشرع للمسلمين فيها التكبير والتهليل في الليل والنهار، وفي المساجد، وفي الطرق، وفي البيوت، وفي كل مكان[(٧)]. والثالثة قوله سبحانه:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[(٨)]. قال الشيخ ابن عثيمين– رحمه الله–: ﴿أَيَّامًا﴾ يعني: كتب

---

(١) البقرة: ١٨٤.

(٢) البقرة: ٨٠.

(٣) هود: ٨.

(٤) يوسف: ٢٠.

(٥) البقرة:١٨٤.

(٦) البقرة: ٢٠٣.

(٧) مجموع فتاوى ابن باز (٢٤/ ١٩٥). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٨) آل عمران: ٢٤.



عليكم أن تصوموا أيامًا معدودات، وقوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ نكرة، والنكرة تفيد القلة وتفيد الكثرة، وتفيد العظمة وتفيد الهون حسب السياق، لما قرنت هنا بقوله: ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أفادت القلة يعني: هذا الصيام ليس أشهرًا، ليس سنوات، ليس أسابيع، ولكنه أيام، أيام معدودات قليلة، و﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ لا يخفاكم أنَّها من صيغ جمع القلة؛ لأنَّ جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم من صيغ جمع القلة، يعني فهي أيام قليلة[١]، وصدَقَ الله عز وجل؛ قليلة إذا نسبت ثلاثين يومًا لثلاث مئة وستين يومًا.

إنَّ رمضان أيامٌ معدوداتٌ، وفرص سانحات، ومواسم الطاعات، ومَجْمع الرحمات، وأسواق النفحات، وإنَّ اغتنام هذه الأيام لدليل الحزم، وإنَّ انتهاز تلك الفرص لعنوان العقل؛ ذلكم أنَّ الوقت رأس مالِ الإنسان، وساعات العمرِ هي أنفس ما عُنِي الإنسان بحفظه؛ فكل ساعة من ساعاتِ عُمُرِك قابلة لأن تضع فيها حجرًا يزداد به صرح مجدِك ارتفاعًا، ويقطع بها قومك في السعادة باعًا أو ذِراعًا؛ لذلك كان الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- إذا أقبلتْ مواسم الخيرات جَدُّوا، وإذا أظلَّتْهم سحائب المغفرة استمطروها، وإن طرقتْهم نفحات ربِّهم تعرَّضوا لها، وإن هبَّت بهم لفحات الهاجرة استعذبوا العذاب في ذات الله! وفي هذا قال الشاعر:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأتِي العَزائِمُ وَتأتِي علَى قَدْرِ الكِرامِ المكارِمُ
وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صِغارُه وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ[٢]

ولئن كان حفظ الوقت مطلوبًا في كل حين وآنٍ؛ فلهو أَوْلَى وأحرى بالحفظ في الأزمنة المباركة، ولئن كان التفريط فيه وإضاعته قبحًا في كل زمان، فإنَّ قبح ذلك يشتدُّ في المواسم الفاضلة، ومن الناس من قلَّ نصيبه من التوفيق، فلا تراه يلقي بالًا لحكمة الصوم ولا لفضل الشهر، فتراه يجعل من رمضان فرصةً للسهر واللهو الممتد إلى بزوغ الفجر، والنومِ العميق في النهار حتى غروب الشمس، ولا يخفى على عاقل لبيب ما لهذا الصنيع من أضرار على دين الإنسان ودنياه، فهو قلب للفطرة، فالله عز وجل جعل الليل لباسًا، والنهار معاشًا، كما أنه إضاعة للوقت، وتعطيل للمصالح، ومن كان هذا صنيعَه فلن يُرجى منه خيرٌ- في الغالب- لا لنفسه ولا لغيره.

قال صلى الله عليه وسلم:" نِعمتان مَغبون فيهما كثير من الناس: الصحَّة، والفراغ" رواه البخاري[٣]، وأشدُّ ساعات الندم حين يقابل المرء بصحيفة عمله، فيرى فيها الخزي والعار؛ قال تعالى:

---

(١) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٢٠).

(٢) ينظر: الحماسة المغربية (١/ ٥٣٠). (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٨) برقم (٦٤١٢)كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة.

﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[٢]، ويقول الحسن البصري رضي الله عنه:" يا بن آدم؛ نهارُك ضيفُك؛ فأحسِنْ إليه؛ فإنَّك إن أحسنتَ إليه ارتحل بحمدِك، وإن أسَأْتَ إليه ارتحل بذمّك[٣]، أنت بين يوم مشهود، ويوم موعود؛ فقدِّم لليومينِ، واعمل للدارين؛ اعمل لغَدِك كما تعمل ليومِك، واعمل لمعادِك كما تعمل لمعاشِك، واعمل لآخرتك كما تعمل لدنياك، لا تتكاسل، ولا تتخاذل؛ فتحرم الخير في مواسم الخير!

ختامًا: (أيامًا معدودات) فيها أفضل العبادات، وأجلُّ الطاعات، جاءت بفضلها الآثار، ونقلت فيها بين الناس الأخبار، إنها أيام عظيمة، لا غنى للخلق عن التعبُّد فيها لله، ولا عمَّا يترتَّب عليها من ثواب ما فرضه الله على جميع الأمم، وفي هذه الأيام المعدودات المسرعات خاصة في مواسم الطاعة، في مواسم الخير، سواء في الصوم أو الحج أو غيرها، ينظر المرء ما قدَّمت يداه، ويحاسب نفسه قبل أن يلقى الله، يُقلِّبُ صفحات العام الماضي؛ ليكتب في صفحات العام الجديد، فإن وجد خيرًا فليحمدِ الله، وإن لم يجد فلا يلومنَّ إلا نفسه؛﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[٤]؛ فيجب على المسلم أن يُنظِّف صفحاته، ويُطهِّر سجلاته، ويُنقِّي عباراته، ويغضُّ نظراته، ويرشد خطواته قبل أن يلقى حتفه، ويقابل ربَّه، فيعرض عليه أعماله؛﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾[٥]. قال الشاعر:

دعِ التكاسل في الخيرات تَطلبها ... فليس يَسعد بالخيرات كسلانُ

لا ظِلَّ للمرء يَعْرى مِن تُقًى ونُهى ... وأن أظلَّته أوراقٌ وأغصانُ[٦]

---

(١) الفجر: ٢٣ – ٢٤.

(٢) الزمر: ٥٦.

(٣) ينظر: البيان والتبيين (٣/ ١١٣). البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

(٤) الزلزلة: ٧ – ٨.

(٥) الحاقة: ١٨.

(٦) قصيدة عنوان الحكم (ص: ٣٨). قصيدة عنوان الحكم، المؤلف: علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البُسْتي، أَبُو الفَتح (المتوفى: ٤٠٠هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.



٤ رمضان

آداب تلاوة القرآن

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة إلى يوم الدين، وكتابه المبين الذي أنزله نورًا وهدىً للناس، لا تستقيم حياة الإنسان دون تلاوته وتدبُّره واستقاء الأحكام من آياته﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[(١)]؛ لذلك يطلب من المسلم أن يتعهَّد القرآن الكريم بتلاوته، وأن ينصت ليستمع إليه عند قراءته؛ حتى يهتدي بهديه، ويتقرَّب إلى خالقه، وينتفع بما فيه من الحكم والمواعظ، فبالتلاوة يفوز المسلم بخير الدارين؛ لأنَّه يمتثل أوامر ربِّه بالتعبُّد بها، وقد أثنى الله عز وجل على مَن كان دأبه الإكثار من قراءة القرآن، فقال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[(٢)]. ومن فضائل تلاوة القرآن الكريم أنَّ صاحبه ينال شفاعة القرآن يوم القيامة، ويفوز بأعلى الدرجات في الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُقالُ لصاحِبِ القرآنِ: اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا، فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرأُها " رواه أبو داود[(٣)]، وأنَّ المستمع لآيات من كتاب الله تُتلى عليه تكون له نورًا يوم القيامة، وأيضًا فإنَّ قلب الانسان يحتاج دائمًا إلى رعايته وإيقاظه بمختلف الرقائق والمواعظ والذكر؛ حتى لا تتراكم عليه الأكدار ووسوسة الشيطان، فيقسو قساوة الصخور، وإنَّ من هذه الصخور ما تتفجَّر منها الأنهار، وكل حرف يقرأه المسلم من القرآن يُثاب عليه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ" رواه الترمذي[(٤)].

وكما أنَّ الإنسان يتأدَّب دائمًا في الحديث مع مَن هم أعلى مقامًا منه، فلا بُدَّ للإنسان أن يراعي بعض الآداب عند تلاوة القرآن الكريم، وتوجد العديد من الآداب التي ينبغي على قارئ القُرآن أن يراعيها قبل تلاوته للقرآن، ومنها ما يأتي:

---

(١) محمد: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١١٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٤٠٣) برقم (٦٧٩٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٣) برقم (١٤٦٤) باب تفريع أبواب الوترباب استحباب الترتيل في القراءة. والترمذي في جامعه (٥/ ١٧٧) برقم (٢٩١٤) أبواب فضائل القرآن باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٢) برقم (٨٠٠٢) كتاب فضل القرآن، الترتيل. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح"كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ١٧١).

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠). صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

الإخلاص؛ والمعنى أن يقصد بتلاوته وجه الله ورضاه، وابتغاء الأجر منه، وليس التوصل إلى غرضٍ من أغراض الدُنيا؛ كالمال، أو الجاه، أو ثناء الناس عليه، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[١]، وقد حذَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم من عدم الإخلاص بقوله:" من تعلَّم علمًا ممَّا يبتغى به وجهَ اللهِ تعالى؛ لا يتعلَّمُه إلَّا ليُصيبَ به عرضًا من الدنيا؛ لم يجِدْ عَرْفَ الجنةِ يومَ القيامةِ، يعني رِيحَها" رواه أبو داود[٢]، وجاء في بعض الأحاديث أنَّ قارئ القُرآن غير المخلص في قراءته من أوائل" مَن تُسعَّر بهم النار يوم القيامة" رواه مسلم[٣]. ومن الآداب الوضوء؛ فيُسنُّ لقارئ القُرآن أن يقرأه وهو متوضئ، وقراءته للقُرآن من غير وضوء جائزة، ولكنه فعل خلاف الأفضل، وفي حال عدم وُجود الماء فيجوز الانتقال إلى التيمم، وأما من كان على جنابة أو من كانت حائضًا؛ فإنه يحرم عليهما قراءة القُرآن، مع جواز إمرار القُرآن على قلبيهما من غير أن يتلفَّظا به.

كذلك السواك؛ فيُسنُّ للقارئ أن يستعمل السواك قبل البدء بالتلاوة، فقد قال عنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" السِّواكُ مَطهَرةٌ للفمِ مَرضاةٌ للرَّبِّ" راوه أحمد[٤]. أيضًا النظافة عند تلاوة القرآن، والمقصود بها نظافة المكان الذي يريد القارئ القراءة فيه، ولذلك استحبَّ بعض العلماء القراءة في المسجد؛ لأنَّه جامع للنظافة وشرف المكان، وأما تلاوته في الطريق وغير ذلك؛ فهي صحيحة بشرط عدم الانشغال عنها، وأما في الأماكن التي ينشغل بها القارئ فهي مكروهة، وأما الحائض فيجوز لها قراءته ولكن من غير أن تمسَّ المصحف؛ لأنَّ عُذرها يمكثُ وقتاً طويلًا.

---

(١) البينة: ٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ١٦٩) برقم (٨٤٥٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٣٢٣) برقم (٣٦٦٤) كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله تعالى. وابن ماجه في سننه (١/ ٩٢) برقم (٢٥٢) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب الانتفاع بالعلم والعمل به. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٨/ ١٦٤). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٣) ينظر: صحيح مسلم (٣/ ١٥١٣) حديث رقم (١٩٠٥) كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٨٦) برقم (٧). والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٧٥) برقم (٤) كتاب الطهارة، الترغيب في السواك. وابن ماجه في سننه (١/ ١٠٦) برقم (٢٨٩) كتاب الطهارة باب السواك. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ١٠٥). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.



استقبال القبلة؛ فيُسنُّ للقارئ عند قراءته للقُرآن أن يستقبل القبلة، وأن يجلس بخُشوعٍ ووقار، وأما قراءته في الفراش أو مُضطجعًا؛ فهو جائز ولكنه خلاف الأولى.

الاستعاذة؛ وهي قول: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(١)، وذهب أهل التفسير إلى أنَّ المقصود بذلك عند إرادة القراءة(٢).

البسملة؛ وهي قول: "بسم الله الرحمن الرحيم"، باستثناء البدء بسورة التوبة.

التطيُّب وطهارة اللباس عند إرادة التلاوة؛ لفعل النبيِّ صلى الله عليه وسلم إذ كان يمسُّ من طيبه عند تلاوته للقُرآن.

كما يُسنُّ لقارئ القُرآن استحباب التوقُّف عن القراءة عند التثاؤب؛ لأنَّ العبد يُخاطب ربَّه ويُناجيه، وكذلك عدم العبث أو الإكثار من الحركة لغير الحاجة، ووضْعِ المصحف على الأرض؛ لما في ذلك من الامتهان له. والوقوف عند آيات الوعد وسؤال الله من فضله، والوقوف عند آيات الوعيد والاستعاذة بالله من عذابه، لفعل النبيّ صلى الله عليه وسلم ذلك، حيث جاء في الحديث:" قمتُ معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فبدأ فاستاكَ، ثمَّ توضَّأ، ثمَّ قامَ يصلِّي، وقمتُ معَهُ، فبدأ فاستَفتحَ البقرَةَ، لا يمرُّ بآيةِ رحمةٍ إلَّا وقفَ فسأَلَ، ولا يمرُّ بآيةِ عذابٍ إلَّا وقفَ يتعَوَّذُ" صحيح أبي داود(٣)، وأن لا يكون أكبر همهِ كثرة القراءة، قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾(٤).

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: فيقرأه بتمهُّل بدون سرعة، لأنَّ ذلك أعون على تدبُّر معانيه، وتقويم حروفه وألفاظه(٥).

مع استحضار القلب للآيات التي يقرأها، ويكره السرعة في تلاوة القرآن؛ لأنَّ ذلك منافٍ للتدبُّر.

---

(١) النحل: ٩٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٢٩٣). جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٣)رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٤٠٥) برقم (٢٣٩٨٠). وأبو داود في سننه (١/ ٢٣٠) برقم (٨٧٣) أبواب تفريع استفتاح الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٣٦١) برقم (٧٢٢)كتاب السهو، ذكر ما ينقض الصلاة، وما لا ينقضها، نوع آخر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/ ٣٧٣).

(٤) المزمل: ٤.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٢٧٨).



قراءة القُرآن بترتيلٍ وتأنٍ، ولا يَهذُّهُ هذًّا كالشعر.

والتغنّي بالقرآن؛ أي تحسين الصوت به عند قراءته، ويُعَدُّ ذلك من الآداب المستحَبَّة عند قراءة القرآن؛ لأنَّ المسلم مُطالَبٌ بالعناية بتلاوته؛ فقد جاءت الكثير من الآيات التي تحثُّ القارئ على التفكُّر والتدبُّر أثناء التلاوة، كقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[١].

البُكاء أثناء التلاوة؛ حيث إنَّها من علامات الصالحين، قال تعالى: ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾[٢]. ويُستحبُّ الإسرار بالقراءة إن خاف القارئ على نفسه الرياء والعُجب، وإن لم يخف على نفسه من ذلك؛ فالجهر في حقه أفضل. ومن الآداب العامة التي ينبغي على قارئ القُرآن أن يلتزم بها الالتزام بتعاليمه، وتحكيمه في جميع شؤون الحياة، وجاء في ذلك العديد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[٣]، وتعظيمه وتعاهده بالحفظ والعمل به، ومراقبة الله تعالى في جميع الأحوال، والبعد عن المنكرات والشهوات المحرَّمة، فقد جاء عن ابن مسعود -رضي الله عنه-: " أنَّه ينبغي لحامل القُرآن أن يُعرَف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مُفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون" رواه البيهقي في شعب الإيمان[٤].

وأخيرًا ينبغي لقارئ القُرآن التحلِّي بأخلاق القُرآن في جميع حياته؛ كالاعتناء بأحكام القُرآن، وتفسيره، وفهْم معانيه، ومُراقبة الله في السر والعلن، والبُعد عن المنكرات والشهوات.

يَا مُنْزِلَ الوَحْيِ الْمُبِينِ تَفَضُّلًا ... نَدْعُوكَ فَاقْبَلْ يَا كَرِيمُ دُعَانَا

اجْعِلْ كِتَابَكَ بَيْنَنَا نُورًا لنَا ... أَصْلِحْ بِهِ مَا سَاءَ مِنْ دُنْيَانَا

واحْفَظْ بِهِ الأوطانَ واجمعْ شملَنَا ... فَالشَّمْلُ مُمَزَّقٌ وَالْهَوَى أَعْيَانَا

وانصُرْ بِهِ قَوْمًا تَسِيلُ دِمَاؤُهُمْ ... فِي القُدْسِ فِي بَغْدَادَ فِي لُبْنَانَا[٥]

---

(١) ص: ٢٩.

(٢) مريم: ٥٨.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٨٨) برقم (١٦٦٨). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٥) الأبيات من قصيدة عن فضل القرآن وأهله للشاعر: مصطفى الجزار. ينظر موقع ملتقى أهل اللغة على الشبكة: http://www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=387.



٥ رمضان

الحكمة من الصوم حصول التقوى

إنَّ الله تعالى لم يفرض علينا الصيام، ويمنعنا عن الطعام والشراب- اللذين أحلَّهما لنا- ليُعذِّبنا، فحاشا لله من ذلك، ولكنَّ للصيام الذي شرعه الله وفرضه على عباده حِكَمًا عظيمة وفوائد جمة، وأولى هذه الحكم وأجلُّها أنَّ الله سبحانه وتعالى إنَّما شرع الصيام وفرضه لتحقيق التقوى، والتدرُّب على الطاعات، فرمضان من مواسم الخيرات التي امتنَّ الله تعالى بها على عباده؛ ليقوى إيمانهم، وتزداد فيه تقواهم، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[١].والمقصود من التقوى هو امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وتلك هي الغاية من الصيام، وفيه تربية لنفسه، وتهذيبٌ لأخلاقه، واستقامة في سلوكه، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى قضية التقوى المقصودة من الصيام، فقال:" مَن لم يَدَعْ قول الزُّور والعملَ به، فليس للهِ حاجةٌ أن يَدَعَ طعامه وشرابه". رواه البخاري[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ويُستفاد من الآية الكريمة فضْل التقوى، وأنَّه ينبغي سلوك الأسباب الموصِّلة إليه، لأنَّ الله أوجب الصيام لهذه الغاية، إذًا فهذه الغاية غاية عظيمة ينبغي على الإنسان أن يسلك السبل الموصِّلة إلى التقوى، وهذا يتفرَّع منه فائدة أخرى وهي: اعتبار الذرائع، يعني ما كان ذريعة إلى الشيء فإنَّ له حكم ذلك الشيء، فلمَّا كانت التقوى واجبة كانت وسائلها واجبة، ولهذا يجب على الإنسان أن يبتعد عن مواضع الفتن، لا ينظر إلى المرأة الأجنبية ولا يُكلِّمها كلامًا يتمتَّع به معها؛ لماذا؟ لأنَّه يُؤدِّي إلى الفاحشة فيجب اتقاء ذلك[٣]. قال الإمام الرازي:" بيَّن سبحانه بهذا الكلام أنَّ الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى؛ فإنَّه يردع عن الأشر والبطر والفواحش، ويُهوِّن لذَّات الدنيا ورئاستها؛ وذلك لأنَّ الصوم يكسر شهوة البطن والفرج، فمَن أكثرَ الصومَ هان عليه أمر هذين، وخفَّت عليه مؤنتهما،

فكان ذلك رادعًا له عن ارتكاب المحارم والفواحش، ومُهوِّنًا عليه أمر الرياسة في الدنيا وذلك جامع لأسباب التقوى فيكون معنى الآية" فرضتُ عليكم الصيام لتكونوا به من المتقين الذين أثنيتُ عليهم في كتابي"[٤] فغاية الصيام وثمرته لتكونوا من المتَّقين لله، المجتنبين لمحارمه.

---

(١)البقرة: ١٨٣.

(٢)رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٣) كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.

(٣)تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣١٨).

(٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥/ ٢٤٠). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.



والأمر بتقوى الله وصية الله للأولين والآخرين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾(١)، فمن يعمل بوصية الله فقد فاز ونجح، وذلك هو الفوز العظيم، ومن لم يعمل بوصية الله فسوف يخسر ويهلك، وذلك هو الخسران المبين؛ لذلك يجب أن نتمسَّك بوصية الله، وأن نعضَّ عليها بالنواجذ حتى يدركنا الموت ونحن على تلك الحالة، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٢)، أي: اتَّقوا الله حقَّ تقواه، قال ابن مسعود- رضي الله عنه-:" هو أن يُطاع فلا يُعصَى، وأن يُذكَر فلا يُنسَى، وأن يُشكَر فلا يُكفَر"(٣).

وسُئل الإمام علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عن التقوى التي هي ثمرة الصيام فقال:" هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"(٤)، وقال الإمام الغزالي: التقوى كنز عظيم، فإن ظفرتَ به فكم تجد فيه من جوهر، ورزق كريم، وملك عظيم، لأنَّ خيرات الدنيا والآخرة جُمعتْ فيها(٥).

ولقد بيَّن القرآن الكريم فوائد عديدة وكثيرة للتقوى؛ نذكر منها:

أولًا: النجاة من الشدائد، وسهولة الحصول على الرزق من وجهٍ لا يخطر ببال الإنسان ولا يعلمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٦)، فمن يتقِ الله ويراقبه ويقف عند حدوده يجعل له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وقال المفسرون: الآية عامة، وقد نزلتْ في عوف بن مالك الأشجعي إذ أسر المشركون ابنه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة، وقال: إنَّ العدو أسر ابني

---

(١) النساء: ١٣١

(٢) آل عمران: ١٠٢

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٠٦) برقم (٣٤٥٥٣).

(٤) ينظر: موسوعة الرقائق والأدب (ص ٩٨٤). موسوعة الرقائق والأدب، المؤلف: ياسر بن أحمد بن محمود بن أحمد بن أبي الحمد الكويس الحمداني.

(٥) لم أقف عليه من كلام الغزالي، لكن ذكره مع اختلاف يسير الفيروزآبادي، حيث قال: "واعلم أن التقوى كنز عزيز، إن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس، وخير كثير، ورزق كريم، وغنم جسيم وملك عظيم. فهى الخصلة التى تجمع خير الدنيا والآخرة" بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٢٥٩). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتابالعزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٦) الطلاق: ٢ – ٣.



وجزعتْ أمُّه، فما تأمرني؟ فقال صلى الله عليه وسلم: اتقِ الله واصبرْ، وآمرُك وإياها أن تستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل هو وامرأته، فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب، ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها، فنزلت الآية الكريمة[١].

ثانيًا: يحفظ الله تعالى الأُمَّة من الأعداء بشرط أن يتحلَّى أبناؤها بالبر والتقوى. قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٢]، فمن يتَّصف بتقوى الله في أقواله وأعماله لا يضره مكر الأعداء وكيدهم.

ثالثًا: قبول العمل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٣]، فمنِ اتَّقى الله ربَّه وأخلص نيَّته تقبَّل الله عمله، قال البيضاوي:" فيه إشارة إلى أنَّ الطاعة لا تُقبَّل إلَّا من مؤمن مُتَّقٍ لله"[٤].

رابعًا: محبَّة الله تعالى ورضوانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٥]، وهذه درجة عالية، ومكانة رفيعة للذين يتقون الله تعالى.

خامسًا: أولياء الله وأصفياؤه هم أهل التقوى، وهي زادهم في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾[٦]، ومن تزوَّد بتقوى الله أعطاهم ما يسرُّهم في الدارين؛ حيث تُبشِّرهم الملائكة عند الاحتضار برضوان الله ورحمته، وفي الآخرة بجنان النعيم والفوز العظيم، يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[٧].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ١٦٠)؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٢٦٣). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) آل عمران: ١٢٠.

(٣) المائدة: ٢٧

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٢٣). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

(٥) التوبة: ٤.

(٦)البقرة: ١٩٧.

(٧)يونس: ٦٢ – ٦٣.

سادسًا: التفاضل بين الناس عند الله تعالى يكون بالتقوى، لا بالأحساب ولا بالأنساب، فمن أراد شرفًا في الدنيا ومنزلة في الآخرة فليتَّقِ الله، قال الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾(١)، وقـــال صلى الله عليه وسلم:" النَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ" رواه الترمذي(٢).

وختامًا: إن المؤمنين المخاطَبين بالقرآن العظيم يعلمون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلَّع إليها أرواحهم، والصوم أداة من أدواتها وطريق موصِّل إليها؛ فالتقوى هي التي توقظ القلوب الشاردة لتؤدِّي هذه الفريضة طاعةً لله، وإيثارًا لرضاه، والتقوى هي التي تدفع العبد ليحرس صومه لئلا يفسده بالمعصية.

أخلصْ لربك، وادعُه ليثبتك ... ويُزيلَ عنك وساوسَ الشيطانِ

ودعِ الذنوبَ كبيرَها وصغيرَها ... فالذنبُ يُطفئُ جذوةَ الأذهانِ(٣)

---

(١)الحجرات: ١٣.

(٢)) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٣٨٩) برقم (٣٢٧٠) أبواب تفسير القرآن باب: ومن سورة الحجرات. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٧٠).

(٣)ينظر هذه الأبيات: أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٣ (٢١/ ٤٢٧). أرشيف ملتقى أهل الحديث – ٣، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢هـ = ديسمبر ٢٠١٠م، هذا الجزء يضم: • منتدى القرآن الكريم وعلومه، • منتدى عقيدة أهل السنة والجماعة، • منتدى الدراسات الفقهية، • منتدى أصول الفقه، • منتدى اللغة العربية وعلومها، • منتدى السيرة والتاريخ والأنساب، • منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين.



٦ رمضان

فضائل الصوم

الصيام من الأعمال التي فضَّلها الله على كثير ممَّا سواها من الحسنات، وجعل عليه من الأجر والكفارات أضعاف ما جعل لغيره، ولأنَّ الصيام عمل خفي بين العبد وربّه، فكذلك أجره خفي لا يعلمه إلا الله، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:"كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضاعفُ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها، إلى سَبْعِمائةِ ضِعفٍ، قال اللهُ تعالى: إلَّا الصَّوْمَ؛ فإنَّه لِي، وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوتَه وطعامَه من أجلِي، وللصائمِ فرْحتانِ: فرحةٌ عند فِطرِه، وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه، ولخَلُوفُ فمِ الصائمِ، أطيبُ عند اللهِ من ريحِ المِسكِ" رواه ابن ماجه(١)، وقد ذكر أهل العلم سبب اختصاص الصوم بهذا الفضل، فقيل: إنَّ الصيام لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره. وقيل: إنَّ الله سبحانه وتعالى ينفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وقيل: إنَّ الصيام أحبُّ العبادات إلى الله والمقدَّم عنده سبحانه وتعالى، وقيل: إنَّ إضافة الصوم لله تعالى هو إضافة تشريف وتعظيم كما يقال:" ناقة الله" و"بيت الله"، وقيل: إنَّ الصيام لم يُعبَد به غير الله تعالى، ويُعدُّ الصيام مدرسة صحية وتربوية واجتماعية، مبنية على الصبر، ومخالفة النفس، وكسر الشهوة، واحترام النظام، والتزام الجماعة والإحسان إلى الفقراء، ومواساة المساكين والمحتاجين، وتطهير الروح والانشغال بلذَّة العبادات من صلاة وذكر، وقيام واعتكاف وتلاوة للقرآن الكريم(٢).

ويترتَّب على الصيام العديد من الفضائل في الحياة الدنيا، فيما يأتي بيان البعض منها: تحقيق التقوى؛ فالصيام يقي المسلم من الوقوع في المعصية، وبذلك يحميه من العذاب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (٣)، ويصل الصائم إلى مرتبة التقوى باجتناب المعاصي، وحِفظ الجوارح، والتغلُّب على

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٥٢٥) برقم (١٦٣٨) كتاب الصيام باب ما جاء في فضل الصيام. والحديث رواه مسلم (٢/ ٨٠٧) حديث رقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام دون اللفظة الأخيرة منه: "ولخَلُوفُ فمِ الصائمِ، أطيبُ عند اللهِ من ريحِ المِسكِ".

(٢) ينظر بعض هذه المعاني: التوشيح شرح الجامع الصحيح (٤/ ١٤١٤). التوشيح شرح الجامع الصحيح، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، المحقق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٣) البقرة: ١٨٣.



الشهوة، وعدم الاستجابة لوساوس الشيطان، وبذلك تقوى العزيمة والإرادة على الالتزام بأوامر الله،

فالصيام جُنَّة من شهوات الدنيا وعذاب الآخرة أي: وقاية في الدنيا والآخرة، فيقي المسلم في الدنيا من الوقوع في الشهوات والمعاصي، ويقيه في الآخرة من العذاب، فهو حصن حصين في الآخرة من النار. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" الصِّيَامُ جُنَّة، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ" رواه البخاري[١].

وعنه- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" الصيامُ جُنَّةٌ وحِصْنٌ حصينٌ مِنَ النارِ" رواه أحمد[٢]، ومعنى هذا الحديث: أنَّ الصيام درع يقي الصائم من المعاصي في الدنيا، ومن النار في الآخرة، كما يقي الدرع المحارب حين القتال، فيمنعه من طعنات العدو، ويحميه من الموت بإذن الله تعالى.

والصيام كفَّارة للخطايا والذنوب، فعن حذيفة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ" رواه البخاري ومسلم[٣].

ومن الفضائل استجابة الدعاء؛ إذ يُعَدُّ الصيام سببًا من أسباب إجابة الدعاء، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم: الصَّائمُ حتَّى يُفطِرَ، والإمامُ العَدلُ، ودعوةُ المظلومِ" رواه الترمذي[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٤) برقم (١٨٩٤) كتاب الصوم باب فضل الصوم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٦) حديث رقم (١١٥١) كتاب الصيام باب حفظ اللسان للصائم.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ١٢٣) برقم (٩٢٢٤). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٧٢٠). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١١) برقم (٥٢٥) كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة. ورواه مسلم (٤/ ٢٢١٨) حديث رقم (١١٥١) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في الفتنة التي تموج كموج البحر.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٤١٠) برقم (٨٠٤٣). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٧٨) برقم (٣٥٩٨) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٥٧) برقم (١٧٥٢) كتاب الصيام باب في الصائم لا ترد دعوته. والحديث ذكره الترمذي بأتم من هذا ولفظه: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين". قال الألباني عقبه: "ضعيف، لكن الصحيحة منه الشطر الأول بلفظ: "..... المسافر" مكان "الإمام العادل"، وفي رواية "الوالد"" صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٩٨).



كذلك تخصيص الصائمين بأنَّ لهم بابًا من أبواب الجنّة يُسمَّى (باب الريَّان)، وقد ثبت ذلك في صحيح مسلم، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ له الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يومَ القِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ معهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ منه، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ؛ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ منه أَحَدٌ" رواه مسلم(١).

أما عن فضائل الصيام في الآخرة فيُعَدُّ الصيام جُنَّة من عذاب الله تعالى؛ أي حماية منه؛ لأنَّ الصيام عبادة مُتعلِّقة بجميع البدن، وقد نسب الله تعالى ثواب الصيام إليه؛ فهو العالم بأجر الصائم، كما جعل رائحة فم الصائم أفضل وأحبَّ إليه من رائحة المِسك، قال الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن ربّه عز وجل:" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إِلَّا الصِّيَامَ، هو لي وَأَنَا أَجْزِي به، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ؛ لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْكِ" رواه مسلم(٢).

إضافة إلى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن فضل الصيام؛ بأنَّ الله يُباعد بين الصائم وبين النار سبعين سنةً، فقال:" مَن صَامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللهِ؛ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا" رواه مسلم(٣).ومن فضائل الصيام التي ينالها العبد في الآخرة: نيل الشفاعة يوم القيامة، قال النبي-عليه الصلاة والسلام-:" الصيامُ والقرآنُ يَشْفَعانِ للعبدِ، يقولُ الصيامُ: أَيْ رَبِّ! إِنِّي مَنَعْتُهُ الطعامَ والشهواتِ بالنهارِ، فشَفِّعْنِي فيه، ويقولُ القرآنُ: مَنَعْتُهُ النومَ بالليلِ، فشَفِّعْنِي فيه؛ فيَشْفَعَانِ" راه أحمد(٤). وأخرج البخاريّ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ"(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥) برقم (١٨٩٦) كتاب الصوم باب الريان للصائمين. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٨) حديث رقم (١١٥٢) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٤) كتاب الصوم باب: هل يقول إني صائم إذا شتم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٦) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٦) برقم (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير باب فضل الصوم في سبيل الله. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٨) برقم (١١٥٣) كتاب الصيام باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، بلا ضرر ولا تفويت حق.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٩٩) برقم (٦٦٢٦). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦١٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٤) كتاب الصوم باب: هل يقول إني صائم إذا شتم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.



نيل الدرجات الرفيعة في الجنة، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" إنَّ في الجنَّةِ غُرفًا؛ تُرَى ظُهورُها من بطونِها، وبطونُها من ظُهورِها، فقامَ أعرابيٌّ فقالَ: لمن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ فقالَ: لمن أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطَّعامَ، وأدامَ الصِّيامَ، وصلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ" رواه الترمذي[١].

ويُعَدُّ الصيام عبادةً من العبادات التي يتقرَّب بها العبد من الله تعالى؛ إذ لا يطَّلع على الصائم إلَّا الله، فيُحقِّق الصيام بذلك العبودية لله تعالى بأعلى درجاتها، ويفوز بمَحبَّته، ونصره، ومعونته، وتجدر الإشارة إلى أنَّ العبوديَّة هي المقصد من الخَلْق، قال عز وجل:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢]، وتتحقَّق العبوديَّة بتمام الخضوع والذلِّ لله مع محبَّته.

ختامًا: نسأل الله أن يُعيننا في شهر رمضان على الصيام والقيام، والذكْر وتلاوة القرآن، وأن يتقبَّل منَّا ومن جميع المسلمين صالح الأعمال.

الصَّومُ مدرسةُ التعفُّفِ والتُّقى ... وَتَقارُبِ البُعَداءِ والأغـرَابِ
الصّومُ رابِطَةُ الإخاءِ قويّةً ... وَحِبالُ وُدِّ الأهْلِ والأَصْحَابِ
الصَّومُ دَرسٌ في التّساوي حافِلٌ ... بالجُودِ والإيثارِ والتَّرحَابِ
شهرُ العَزيمةِ والتَصبُّرِ والإبَا ... وصفاءِ روحٍ واحتمالِ صعَابِ
كَمْ مِنْ صيامٍ مَا جَنَى أصحَابُه ... غيرَ الظَّمأ وَالجوعِ والأتْعَابِ
مَا كلُّ مَنْ تَرَكَ الطّعامَ بصَائمٍ ... وَكذاكَ تاركُ شَهْوةٍ وَشَرَابِ
الصَّومُ أسْمَى غايةٍ لمْ يَرْتَقِ ... لعُلاهُ مثلُ الرسْلِ وَالأصْحَابِ[٣]

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٩) برقم (١٣٣٨). والترمذي في جامعه (٤/ ٣٥٤) برقم (١٩٨٤) أبواب البر والصلة باب ما جاء في قول المعروف. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٨٤).
(٢) الذاريات: ٥٦.
(٣) ينظر: موقع وقفنا. https://waqfuna.com/waqf/?p=2046



٧رمضان

فضائل صيام شهر رمضان

يمتاز شهر رمضان بالكثير من الفضائل التي وردت في القرآن والسنة، ومن هذه الفضائل ما يأتي: أنزل الله فيه القرآن الكريم؛ إذ إنَّ نزول القرآن فيه من أعظم الأحداث التي تُبيِّن فضْل هذا الشهر؛ فهو كلام الله الذي بيَّنَ فيه أخبار الأُمم السابقة، والأحكام التي تضمن السعادة للإنسان في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (١).

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله-: يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنَّه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أُنزلتْ صحف إبراهيم عليه السلام فى أول ليلة من رمضان، وأُنزِلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأُنزِل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان(٢)"(٣).

ومن فضائل الشهر أنَّه يتضمَّن ليلة القدر التي بيَّنَ القرآن الكريم أنَّها خير من ألف شهر، ومن قامها لله مُحتسبًا الأجر والثواب، غفر الله له ما تقدم من ذنبه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾(٤)، قال الإمام القرطبى رحمه الله: بيَّنَ فضلها وعظمها، وفضيلة الزمان إنَّما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل، وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر(٥).

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ١٩١) برقم (١٦٩٨٤). والحديث حسن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ١٠٤). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠١). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) القدر: ١ - ٣

(٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٣١).



قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا؛ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ، ومَن صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ" رواه البخاري[١].

وقد سمَّى الله ليلة القدر بهذا الاسم؛ لأنَّ الله أنزل فيها القرآن الذي هو ذو قَدْر، على نبيِّه مُحمد صلى الله عليه وسلم ذي القَدْر، في ليلة ذات قَدْر، لأُمَّة ذات قَدْر، وقد بيَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم أنَّها تكون في العشر الأواخر من رمضان، في الليالي الوتر منها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "التَمِسوها في العَشرِ الأواخِرِ مِن رَمَضانَ؛ في تاسِعةٍ تَبقى، وفي سابِعةٍ تَبقى، وفي خامِسةٍ تَبقى" رواه البخاري[٢].

وفي هذا الشهر العظيم يغفر الله به الذنوب، ويُكفِّر به الخطايا، وهو سبب لدخول الجنَّة؛ لحديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم الذي رواه جابر بن عبد الله- رضي الله عنه-:" أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: أرَأَيْتَ إذا صَلَّيْتُ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ، وصُمْتُ رَمَضانَ، وأَحْلَلْتُ الحَلالَ، وحَرَّمْتُ الحَرامَ، ولَمْ أزِدْ علَى ذلكَ شيئًا، أأَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قالَ: نَعَمْ" رواه مسلم[٣].

وفيه تُفتَح أبواب الجنّة، وتُغلَق أبواب النيران، وتُصفَّد الشياطين، وذلك كلُّه من رحمة الله بالمؤمنين في هذا الشهر؛ لكثرة طاعتهم، وإقبالهم على الله بالأعمال الصالحة؛ لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" إذا جاءَ رَمَضانُ فُتِّحَتْ أبْوابُ الجَنَّةِ، وغُلِّقَتْ أبْوابُ النَّارِ، وصُفِّدَتِ الشَّياطِينُ" رواه البخاري[٤]، ومعنى تصفيد الله للشياطين: رَبْطها وتقييدها بالأصفاد؛ لأنَّها مصدر للذنوب والمعاصي، وما يرى من ارتكاب بعض الناس للذنوب في شهر رمضان؛ فذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى يُصفِّد مَرَدة الشياطين، ولكنَّ للمعاصي مصادر أُخرى كالنفس، والهوى.

وفيه يعتق الله الناس من النيران؛ فالله سبحانه وتعالى يتفضَّل على عباده الصائمين بأن يجعل منهم عُتقاء من النار في كل يوم؛ والعِتق يكون بإبعاد المعتَق عن النار، وإدخاله إلى الجنّة، ويُهيئ الله الظروف المناسبة لعباده؛ لأداء العبادة؛ وذلك بحبس الشياطين، وكثرة العِتق من النار في رمضان؛ لقول

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠١) كتاب الصوم باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية. ورواه مسلم (١/ ٥٢٣) برقم (٧٦٠) بتقديم وتأخير، كتاب صلاة المسافرين وقصرها بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢١) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٤) برقم (١٥) كتاب الإيمان بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُدْخَلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥) برقم (١٨٩٩) كتاب الصوم باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعا. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٥٨) برقم (١٠٧٩) كتاب الصيام باب فضل شهر رمضان.



النبي صلى الله عليه وسلم:" ويُنادي منادٍ: يا باغيَ الخيرِ أقبِلْ، ويا باغيَ الشَّرِّ أقصِرْ، وله عُتقاءُ من النَّارِ، وذلك كلَّ ليلةٍ"رواه الترمذي(١).

ويتميَّز هذا الشهر عن غيره بأن الله تعالى يستجيب الدعاء من عباده؛ فرمضان موطن إجابة الدعاء، وللصائم دعوة مستجابة لا تُردُّ.

وينقسم الناس في استقباله إلى صنفين؛ صنف يتَّبعون فيه سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته؛ باستقباله بالدعاء، والفرح بقدومه، والاستعداد للعبادة فيه، والتقرُّب إلى الله، وصنف يتثاقلون منه ومن صيامه، ولا يفرحون بقدومه، ويَعُدُّون أيامه كأنَّه ضيف ثقيل عليهم، ويفرحون بانتهاء الصيام فرحًا شديدًا لزوال هذا الشهر، ولا يتَّبعون فيه سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

ويتميَّز هذا الشهر أيضًا بأنَّ العمرة فيه ثوابها مُضاعَف، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عُمرة في رمضان تعدل حَجَّةً" متفق عليه(٢).

قال الإمام المناوى- رحمه الله-: تعدل حجة في الثواب، لا أنَّها تقوم مقامها في إسقاط الفرض؛ للإجماع على أنَّ الاعتمار لا يُجزئ عن حج الفرض(٣).

ومن فضائله وخصائصه صلاة التراويح، فلقد أجمع المسلمون على سُنيَّة قيام ليالي رمضان، وقد ذكر النووي أنَّ المراد بقيام رمضان صلاة التراويح، يعني أنَّه يحصل المقصود من القيام بصلاة التراويح(٤)؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" رواه البخاري(٥).

قال الإمام ابن بطال- رحمه الله-: وفى جمْع عمر الناس على قارئ واحد دليلٌ على نظر الإمام لرعيته فى جمْع كلمتهم وصلاح دينهم، وفيه: جواز الاجتماع لصلاة النوافل، وفيه أنَّ الجماعة المتَّفقة

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٥٧) برقم (٦٨٢) أبواب الصوم باب ما جاء في فضل شهر رمضان. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٢٦) برقم (١٦٤٢) كتاب الصيام باب ما جاء في فضل شهر رمضان. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٩) برقم (١٨٦٣) كتاب جزاء الصيد باب: حج النساء ولفظه: «فإن عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي». ومسلم في صحيحه (٢/ ٩١٧) برقم (١٢٥٦) كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ١٤٨). التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (٦/ ٣٩). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٧) كتاب الإيمان باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢٣) برقم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح.

فى عمل الطاعة مرجو بركتها، إذ دعاء كلِّ واحدٍ منهم يشمل جماعتهم، فلذلك صارت صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة، فيجب أن تكون النافلة كذلك، وفيه: أنَّ قيام رمضان سُنَّة لأنَّ عمر لم يُسِنُّ منه إلا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّه، وقد أخبر عليه السلام بالعلَّة التى منعتْه من الخروج إليهم، وهى خشية أن يُفترَض عليهم، وكان بالمؤمنين رحيمًا، فلمَّا أمِن عمر أن تُفترَض عليهم فى زمانه لانقطاع الوحى؛ أقام هذه السُّنَّة وأحياها، وذلك سنَةَ أربع عشرة من الهجرة فى صدر خلافته(١).

ومن فضائله وخصائصه الاعتكاف: فعن عائشة- رضي الله عنها-:" أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتَّى توفَّاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده" رواه مسلم(٢).

قال الإمام الصنعانى- رحمه الله-: فيه دليل على أنَّ الاعتكاف سُنَّةٌ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه من بعده(٣)، وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه-:" أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عامًا، حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه، قال:" مَن كانَ اعْتَكَفَ مَعِي؛ فَلْيَعْتَكِفِ العَشْرَ الأوَاخِرَ، وقدْ أُرِيتُ هذِه اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وقدْ رَأَيْتُنِي أسْجُدُ في مَاءٍ وطِينٍ مِن صَبِيحَتِهَا، فَالْتَمِسُوهَا في العَشْرِ الأوَاخِرِ، والتَمِسُوهَا في كُلِّ وِتْرٍ" رواه البخاري، فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش ، فوقف المسجد ، فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته أثر الماء والطين، من صبح إحدى وعشرين(٤).

وأخيرًا: ينبغي للمسلم الاستفادة من فضائل هذا الشهر الكريم، والإكثار من الصلوات والصدقات، والذكر والاستغفار، وسائر أنواع القربات في الليل والنهار، اغتنامًا للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات، ومرضاة فاطر الأرض والسموات.

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤/ ١٤٦). شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٦) كتاب الاعتكاف باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٣١) برقم (١١٧٢) كتاب الاعتكاف باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

(٣) سبل السلام (١/ ٥٩٣). سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٨) برقم (٢٠٢٧) كتاب الاعتكاف باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٤) برقم (١١٦٧) كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان.

يَا بَاغـيَ الخَـيرِ هَـذَا شَـهرُ مَكرُمَـةٍ ... أقبِـلْ بِصِــدقٍ جَـزَاكَ اللهُ إحسَانــا

أقبِــلْ بِجُــودٍ وَلَا تبخــلْ بِنَافِلــةٍ ... واجعَــلْ جَبِينَــكَ بِالسجــدَاتِ

أعطِ الفَرَائضَ قدرًا لا تُضرُّ بِهَــا ... عُنوَانَا واصدَعْ بِخَيْرٍ ورتّل فِيهِ قُرآنَا(١)

---

(١) الأبيات من قصيدة بعنوان شهر رمضان المبارك للشاعر عبد الملك عواض الخديدي. ينظر: https://diwandb.com/poem/%D8%B4%D9%87%D8%B1-%D8%B1%D9%85%D8%B6%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%83.html.

٨رمضان

النية وأحكامها في الصوم

الصيام ركن من أركان الدين العظيم، ويُشترَط فيه ما يُشترَط في سائر العبادات من وجوب النية، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(١)، ولقوله صلى الله عليه وسلم:" الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ" رواه البخاري(٢).

فالنية ركن من أركان الصيام سواء كان الصيام واجبًا- كصيام رمضان، وقضاء رمضان، والنذر، والكفارات- أم نفلًا، مع الاختلاف في تفاصيل النية في بعض الأحكام.

والنية هي: قصْد القلب شيئًا مُقترنًا بفعله، ومحلُّها القلب، ولا يُشترَط لصحتها التلفُّظ بها، ولكن يُستحبُّ ذلك؛ ليوافق اللسان القلب، وخروجًا من خلاف العلماء في هذه المسألة، والتلفُّظ بالنية دون استحضار ذلك في القلب لا يُجزئ.

ويبدأ وقت النية للصيام الواجب من بعد غروب ليلة هذا اليوم، ويستمر وقتها إلى قبل الفجر، فلو نوى قبل غروب الشمس أو نوى بعد الفجر أو مع طلوع الفجر- عند بدء المؤذن برفْع أذان الفجر الثاني- فلا تصحُّ نيَّته هذه.

ويُستحبُّ أن تكون النية بعد النصف الثاني من الليل، وتصح من أوله.ويجب تعيين النية من الليل لصوم كلِّ يومٍ واجبٍ، لا نية الفرضية، وذلك بأن يعتقد بأنَّه يصوم من رمضان، أو من قضائه، أو يعتقد صوم نذر نذره؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" وإنَّما لكل امرئ ما نوى" أخرجه البخاري(٣)، ولما ثبت أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ لم يُبَيِّتِ الصيامَ قبل الفجرِ فلا صيامَ له" رواه النسائي(٤).

---

(١) البينة: ٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٢٩) برقم (٢٤٥٤) كتاب بالصوم باب النية في الصيام. والترمذي في جامعه (٣/ ٩٩) برقم (٧٣٠) أبواب الصوم باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل. والنسائي في السنن الكبرى واللفظ له (٣/ ١٧٠) برقم (٢٦٥٢) كتاب الصيام، ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٥/ ٤٧٥). صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، [الكتاب مرقم آليا].



قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: ومن خطر بقلبه أنَّه صائمٌ غدًا فقد نوى، والصائم لما يتعشَّى يتعشَّى عشاء مَن يريد الصيام؛ ولهذا يُفرّق بين عشاء ليلة العيد وليالي رمضان[١].

فهل يصح الصوم بدون نية؟ لا يصح الصوم بدون نية؛ فتلزمه النية سواء كان الصوم واجبًا أو نفلًا، وهذا مذهب الحنابلة، ومذهب الثلاثة الآخرين أيضًا؛ بل حُكِي فيه الإجماع[٢]، ولأنَّ العبادات المحضة؛ كالصلاة والصوم تفتقر إلى النية، واختلف العلماء في تجديد النية لكل يوم من رمضان. هل يكفي لصوم شهر رمضان نية واحدة في أوَّله، أم لا بُدَّ لكل يوم من نية خاصة مستقلَّة؟

وخلافهم في ذلك على قولين: القول الأول: أنَّ كل يوم عبادة مستقلَّة بذاتها؛ فيحتاج إلى نية خاصة به، وهذا هو الصحيح من مذهب الحنابلة[٣]وهو قول الجمهور من الحنفية[٤]، والشافعية[٥]،

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٧٥). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين (ص: ٣٢٩)؛ موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي (١/ ٣٠٧). مَقَاصِدُ المكَلفينَ فيمَا يُتعَبَّدُ به لِرَبِّ العَالمين، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، أصل هذا الكتاب: رسالة دكتوراة من جامعة الأزهر، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م. موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي، المؤلف: محمد نعيم محمد هاني ساعي، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

(٣) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣١٥)؛ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ١٨٥). كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المؤلف: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤) ينظر: شرح مختصر الطحاوي (٢/ ٤٠٣)؛ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٨٥). شرح مختصر الطحاوي، المؤلف: أبو بكر الرازي الجصاص (٣٠٥ - ٣٧٠ هـ)، تحقيق: رسائل دكتوراه في الفقه، كلية الشريعة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١ -عصمت الله عنايت الله محمد (من أول الكتاب إلى الحج)، ٢ - سائد محمد يحيى بكداش (من البيوع إلى النكاح)، ٣ - محمد عبيد الله خان (من الطلاق إلى الحدود)، ٤ - زينب محمد حسن فلاته (من السير والجهاد إلى آخر الكتاب)، أعد الكتاب للطباعة وراجعه وصححه: أ. د. سائد بكداش، الناشر: دار البشائر الإسلامية - ودار السراج، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٥) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٠٢)؛ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٢/ ١٤٩). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي). مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، المؤلف:

واستدلوا بحديث حفصة- رضي الله عنها- مرفوعًا:" مَن لم يُجمعِ الصِّيامَ قبلَ الفجرِ فلا صيامَ لَهُ" سنن أبو داود[١]، ولأنَّه صوم فرض، فافتقر إلى النية من الليل؛ كالقضاء.

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: كل يوم له نية، لأنَّ كل يوم عبادة، كل يوم عبادة مستقلة، فلا بُدَّ من النية لكل يوم من رمضان، وهكذا أيام القضاء، وهكذا أيام النذر كل يوم له نية؛ لأنه عبادة مستقلة، نعم، هذا هو الصواب[٢].

القول الثاني: أنَّه يُجزئ صوم شهر رمضان بنية واحدة تكون في أول الشهر، وكذا في كل صيام متتابع مثل كفَّارة الجِماع في نهار رمضان، وهذا ما لم يقطعه بسفر، أو مرض، أو يكون على حال يجوز له الفطر؛ كحيض، أو نفاس؛ فيلزمه استئناف النية، وهذا القول رواية عن الإمام أحمد، واختاره جماعة من أصحابه[٣]، وقال به: زفر من الحنفية[٤]، وهو مذهب المالكية[٥]، واستدلُّوا على ذلك بما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّما الأعمالُ بالنيَّات" رواه البخاري[٦]، وهذا قد نوى جميع الشهر، فرمضان بمنزلة عبادة واحدة.

شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٢٩) برقم (٢٤٥٤) كتاب بالصوم باب النية في الصيام. والترمذي في جامعه (٣/ ٩٩) برقم (٧٣٠) أبواب الصوم باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٢٥١).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٦/ ١٨٤). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٣) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣١٥)؛ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ١٨٥).

(٤) ينظر: الاختيار لتعليل المختار (١/ ١٢٦). الاختيار لتعليل المختار، المؤلف: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقا)، الناشر: مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

(٥) ينظر: التلقين في الفقة المالكي (١/ ٧١)؛ منح الجليل شرح مختصر خليل (٢/ ١٢٨). التلقين في الفقة المالكي، المؤلف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، المحقق: ابي أويس محمد بو خبزة الحسني التطواني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. منح الجليل شرح مختصر خليل، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة. تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.



وتظهر ثمرة الخلاف فيما لو نام مُكلَّفٌ قبل الغروب إلى بعد الصبح؛ فعلى القول الأول: لا يصح صومُه؛ لأنَّه لم يبيِّت نية الصوم الواجب من الليل، وعلى القول الثاني: يصح صومُه؛ لأنَّ رمضان بمنزلة عبادة واحدة.

ولا يُشتَرَطُ في صيامِ التطَوُّعِ تَبييتُ النِّيَّةِ مِنَ اللَّيلِ، وهو مَذهَبُ الجُمهورِ: الحَنَفيَّة[١]، والشَّافِعيَّة[٢]، والحَنابِلة[٣] لعمومُ حديث عائشةَ أمِّ المؤمنينَ- رَضِيَ الله عنها- حيث قالت:" دخل عليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذاتَ يومٍ فقال: هل عِندكم شيءٌ؟ فقلنا: لا. قال: فإني إذًا صائِمٌ" رواه مسلم[٤].

ومَن تردَّدَ في نية الصَّومِ الواجِبِ: هل يصومُ غدًا أو لا يصومُ؟ واستمَرَّ هذا التردُّدُ إلى الغَدِ، ثم صامه؛ فصَومُه غيرُ صحيحٍ، وعليه قضاءُ هذا اليومِ، وهذا مَذهَب الجُمهورِ: المالكية[٥]، والشَّافِعية[٦]، والحَنابِلة[٧]، وهو قولُ بَعضِ الحَنَفيَّة[٨]، وذلك لأنَّ هذا مخالِف لشَرطٍ مِن شُروطِ صِحَّةِ الصَّومِ وهو النيَّةُ، التي هي عَقدُ القَلبِ على فِعلِ الشَّيءِ، والتردُّدُ ينافي ذلك، ومتى اختَلَّ هذا الشَّرطُ فسد الصَّومُ،

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٨٥).

(٢) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٠٢)؛ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٢/ ١٤٩).

(٣) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/ ١١٠)؛ الشرح الكبير على متن المقنع (٣/ ٢٤). المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م. الشرح الكبير على متن المقنع، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٩) برقم (١١٥٤) كتاب الصيام باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال، وجواز فطر الصائم نفلا من غير عذر.

(٥) ينظر: حاشية الدسوقي (١/ ٥٢٠). حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، المؤلف: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٦) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٩٨).

(٧) ينظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٠٩). الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان.

(٨) ينظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (١/ ٣١٦). تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ..



ووجب القَضاءُ[١]. ومَن نوى في يومٍ مِن رَمَضانَ قطْعَ صومِه؛ فإنَّ صَومَه ينقَطِعُ، ولا يصِحُّ منه، وعليه القَضاءُ وإمساكُ بقِيَّةِ اليومِ، إن كان ممَّن لا يباحُ لهم الفِطرُ، فإن كان ممَّن يُباحُ لهم الفِطرُ، كالمريضِ والمسافِرِ؛ فعليه القضاءُ فقط، وهو مذهَبُ المالكية[٢]، والحَنابِلة[٣]، ووجه عند الشَّافِعية[٤]، واختاره ابنُ حَزمٍ[٥]، وابن عُثيمين[٦]، ووجه الدلالة أنَّه ما دام ناويًا للصيامِ، فهو صائِمٌ، وإذا نوى الإفطارَ أفطَرَ، فالصوم عِبارةٌ عن نيَّةٍ، فإذا نوى قَطْعَها انقطَعَت، كالصَّلاةِ إذا نوى قطعها، فإنَّما تنقطِع[٧].

ثانيًا: لأنَّ الأصلَ اعتبارُ النية في جميعِ أجزاءِ العبادةِ حقيقة وحُكمًا، ولكِنْ لَمَّا شقَّ اعتبارُ النيَّةِ حقيقةً وحُكمًا، اعتُبِرَ بقاءُ حُكمِها، وهو ألَّا ينوي قَطْعَها، فإذا نواه زالتْ النيَّةُ حقيقةً وحُكمًا؛ لأنَّ نية الإفطارِ ضد نية الصوم، وإذا نوت الحائض أو النفساء الصيام قبل رؤية علامة الطهر، ثم ثبت طهرها ليلًا قبل أذان الفجر الثاني، وقامت بتجديد نية الصيام فنيتها صحيحة. أما إذا لم تُجدِّد نية الصيام فنيتها صحيحة إذا تحقَّق أحد الشرطين التاليين: ١- إذا كان قد مرَّ على حيضتها أكثر الحيض وهو خمسة عشر يومًا، وكذلك الحال بالنسبة للنفاس إذا مر عليها ستون يومًا.

٢- أو إذا كان قد مرَّ على حيضتها المدَّة المعتادة لها، فإذا كانت عادتها سبعة أيام؛ فتصح نيتها إذا انقضت سبعة أيام على حيضتها؛ لأنَّ الظاهر استمرار العادة سواء اتَّحدت أم اختلفت واتسقت ولم تنس اتساقها، أمَّا من كانت عادتها مُتغيِّرة ولم تُميِّز ذلك فلا تصح نيتها ولو مرَّ عليها قدر عادتها[٨].

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٣٠٢). الموسوعة الفقهية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net

(٢) ينظر: التاج والإكليل لمختصر خليل (٣/ ٣٦٠). التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.

(٣) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣١٦).

(٤) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٩٧).

(٥) ينظر: المحلى بالآثار (٤/ ٣٠٢). المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٦) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٣٦٣). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

(٧) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٣٠٣).

(٨) ينظر: الدين الخالص (٨/ ٤٨٣). الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (والمجلد التاسع طبع باسم: إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك)، المؤلف: محمود محمد خطاب السّبكي، المحقق: أمين محمود خطاب، الناشر: المكتبة المحمودية السبكية، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.



٩رمضان

السحور آداب وأحكام

يُعتبَر السحور في رمضان خصوصية من خصوصيات هذه الأمَّة؛ لأنَّه لم يكن للأمم الماضية في صيامهم سحورٌ، إذْ كان الصيام عند مَن قَبلنا وفي أول الإسلام؛ يحرُم على الصائم الأكل والشرب، والوطأ من حين ينام أو يصلي العشاء، فأيُّهما حصل أوَّلًا حصل به التحريم، فيُمسكون من صلاة العشاء إلى الغد، حتى تغْرُب الشمس، والسحور (بضم السين): أكْل طعام السحر، و(بفتح السين): طعام السحر وشرابه. فهو بالفتح: اسم ما يتسحَّر به، وبالضم المصدر والفعل نفسه.

ويُستحبُّ لمن أراد الصيام أن يتسحَّر؛ فقد ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة القولية والفعلية، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" تسحَّروا؛ فإنَّ في السحور بركةً" رواه البخاري[١]، وحكى النووي وابن المنذر الإجماع على استحباب السحور، وأنه ليس بواجب[٢]. وقال البخاري: باب بركة السحور من غير إيجاب لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه واصلوا، ولم يذكر السحور[٣]، وجاء في المغني لابن قدامة أحدها في استحبابه، ولا نعلم فيه بين العلماء خلافًا[٤]وهذا هو الحق، والأدلة الواردة في فضله دالة على استحبابه، ومن تسحَّر ثم نوى الصيام، ثم عرض له أن يأكل أو يشرب أو يتناول دواء؛ فله ذلك ما لم يطلع الفجر؛ لأنَّ الصوم الشرعي لا يبدأ إلا من طلوع الفجر، وليست نية ترْك الطعام قبل الفجر بمحرم، والله أعلم.ومن فضائل السحور أنَّ السحور فيه بركة، والبركة في السحور تحصل بجهات مُتعدِّدة، منها: اتباع السُّنَّة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوِّي به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخُلُق الذي يُثيره الجوع، والتسبُّب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك، أو يجتمع معه على الأكل، والتسبُّب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٩) برقم (١٩٢٣) كتاب الصوم باب بركة السحور من غير إيجاب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٠) برقم (١٠٩٥) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٧/ ٢٠٦)؛ الإجماع لابن المنذر (ص: ٤٩). الإجماع، المؤلف : أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى : ٣١٩هـ)، المحقق : فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) صحيح البخاري (٣/ ٢٩).

(٤) المغني لابن قدامة (٣/ ١٧٣).



ومن حكم السحور ومقاصده: أنَّه معونةٌ على العبادة؛ فإنَّه يُعين الإنسان على الصيام، فإن تسحَّر المسلم سيقدر على الصوم؛ لأنَّ من شأن السحور أن يساعد في تنشيط البدن، وأن يمده بالطاقة طوال النهار.

وأنَّ فيه مخالفة أهل الكتاب؛ فإنَّهم لا يتسحَّرون، وهذا هو الفرق بين صيامنا وصيامهم، فعن عمرو بن العاص- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" فصْل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب؛ أكلة السحر" رواه مسلم[١]. وكما نص الإمام النووي- رحمه الله- في شرحه لصحيح مسلم؛ فالسحور ممَّا يُميِّز المسلمين عن أهل الكتاب في الصيام، إذ إنَّه يُندَب للمسلمين أن يتسحَّروا، وأمَّا أهل الكتاب فلا يتسحَّرون[٢].

ويُسنُّ للصائم تأخير السحور ما لم يخش طلوع الفجر، فعن أنس- رضي الله عنه- أنَّ زيد بن ثابت- رضي الله عنه- حدثه:" تسحَّرْنا معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثمَّ قمنا إلى الصَّلاةِ قلتُ: كم بينَهما؟ قالَ: قدرُ قراءةِ خمسينَ آيةً" رواه البخاري[٣]، والحديث فيه دلالةٌ على استحباب التسحُّر وتأخيره إلى قريب طلوع الفجر، ونقل الإجماع على ذلك: ابن رشد[٤]، وابن مفلح[٥]، والمرداوي[٦].

ذهب الأئمة الأربعة وعلماء الأمصار كلهم إلى أنَّ السحور يمتدُّ حتى طلوع الفجر الصادق، أو قُلْ: حتَّى يُؤذِّن المؤذِّن لصلاة الفجر. وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عبَّاس- رضي الله تعالى

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٠) برقم (١٠٩٦) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٧/ ٢٠٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٩) برقم (٥٧٥) كتاب مواقيت الصلاة باب وقت الفجر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧١) برقم (١٠٩٧) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٤) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٢/ ٦٩). بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٥) الفروع وتصحيح الفروع (٥/ ٣٠). كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٦) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٣/ ٣٣٠). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.



عنهما-[١]، ونقل عن الأعمش وإسحاق جواز الأكل والشرب إلى طلوع الشمس، إلَّا أنَّ النووي قد شكك في هذا النقل[٢].

ويُسنُّ التسحُّر بالتمر؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" نِعْمَ سَحُورُ المؤمنِ التمرُ" رواه أبو داود[٣].

فالسحور بركة أعطانا الله إياها، والله وملائكته يُصلُّون علينا ونحن نتسحَّر، ويُفضَّل السحور بالرطب، وإلا فبالتمر، وتحصل بركة السحور بجرعة من ماء.

ولو لم يكن من فضل للسحور إلَّا صلاة الله سبحانه وملائكته على المتسحِّرين لكفى، وقد روى أحمد فضائل السحور في حديث واحد من طريق أبي سعيد الخدري- رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" السَّحورُ أُكْلةُ بَرَكةٍ، فلا تَدَعوه، ولو أنْ يَجرَعَ أَحَدُكم جُرْعةً من ماءٍ؛ فإنَّ اللهَ وملائكتَه يُصلُّونَ على المتَسَحِّرينَ"[٤].

فليحرص الصائم على تناول طعام السحور ليُحصِّل هذه الفضائل، وفي السحور بركة عظيمة تشمل منافع الدنيا والآخرة: فمن بركة السحور التقوِّي على العبادة، والاستعانة على طاعة الله تعالى أثناء النهار من صلاة وقراءة وذكْر؛ فإنَّ الجائع يكسل عن العبادة، كما يكسل عن عمله اليومي، وهذا محسوس، ومن بركة السحور مدافعة سوء الخُلُق الذي يُثيره الجوع، فالمتسحِّر طيب النفس، حسن المعاملة، ومن بركة السحور أنه تحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام؛ لخفَّة المشقَّة فيه على المتسحِّر، فيرغب في الصيام، ولا يتضايق منه، ومن بركة السحور اتباع السُّنَّة، فإنَّ المتسحِّر إذا نوى بسحوره امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء بفعله؛ كان سحوره عبادة، يحصل له به

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٢٥). تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (٢٩)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١)، ج ١: تحقيق (علي بن محمد العمران)، راجعه (جديع بن جديع الجديع - عبد الرحمن بن صالح السديس)، ج ٢، ٣: تحقيق (نبيل بن نصار السندي)، (محمد أجمل الإصلاحي - عمر بن سَعدِي)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم)

(٢) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٠٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٠٣) برقم (٢٣٤٥) كتاب الصوم باب من سمى السحور الغداء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ١٠٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ١٥٠) برقم (١١٠٨٦). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٢٠٦).



أجرٌ بهذه النية، وإذا نوى الصائم بأكله وشربه تقوية بدنه على الصيام والقيام؛ كان مُثابًا على ذلك أيضًا، ومن بركة السحور صلاة الفجر مع الجماعة في وقتها الفاضل؛ ولذا تجد أنَّ المصلِّين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم في غيره من الشهور؛ لأنَّهم قاموا من أجل السحور؛ فينبغي للصائم أن يحرص على السحور، ولا يتركه لغلبة النوم أو غيره، وعليه أن يكون سهلاً لينًا عند إيقاظه من النوم، طيِّب النفس، مسرورًا بامتثال أمر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حريصًا على الخير؛ لأنَّ نبيَّنا صلى الله عليه وسلم أكَّد السحور، فأمر به وبيَّن أنَّه شعار صيام المسلمين، والفارق بين صيامهم وصيام أهل الكتاب، ونهى عن تركه.

وفي الختام؛ هناك عبادات يمكن للمسلم فعلها إذا قام بعبادة السحور، وتُعينه على التقرُّب إلى الله تعالى في وقت السحر، ومن هذه العبادات: الدُعاء، الذكْر، قراءة القرآن الكريم، قيام الليل، وكثرة الاستغفار، قال الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1].

هذا لواءُ سحورٍ يُستضاءُ به ... وعسكرُ الشهبِ في الظلماءِ
والصائمون جميعًا يهتدون به ... جرَّارُ كأنَّه علمٌ في رأسِهِ نارُ[2]

---

(١) آل عمران: ١٧.

(٢) ينظر: بدائع البدائه (ص: ١٤٧). بدائع البدائه، المؤلف: علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن جمال الدين (المتوفى: ٦١٣هـ)، طبعة: مصر سنة ١٨٦١م.



١٠ رمضان

ما يجب على الصائم تركه

يجب على الصائم ترْك عدّة أمور حتى يكون صومه صحيحًا، منها ما يلي:

١- يجب على الصائم ترْك المفطرات الثلاث (الطعام والشراب والجماع) إذا تبيَّن له طلوع الفجر الثاني. قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾(١).

وعن عبد الله بن أبي أوفى- رضي الله عنه- قال:" كُنَّا مع رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قالَ لِرَجُلٍ: انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ؛ لو أَمْسَيْتَ، قالَ: انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا، قالَ: إنَّ عَلَيْنَا نَهَارًا، فَنَزَلَ فَجَدَحَ له فَشَرِبَ، ثُمَّ قالَ: إذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قدْ أَقْبَلَ مِن هَا هُنَا- وَأَشَارَ بيَدِهِ نَحْوَ المشْرِقِ- فقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ" رواه مسلم(٢).

٢- يجب على المسلم اجتناب الكذب والغيبة والسبِّ في كل وقت، وفي رمضان آكد؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه" رواه البخاري(٣).

٣- عدم الرفث والصخب، وعدم الردِّ على من جهل عليه؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قال الله: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصِّيَامَ؛ فإنَّه لي، وأَنَا أجْزِي به، والصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ؛ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ" رواه البخاري(٤).

٤- يجب على الصائم ترك المعاصي والآثام في كل وقت، وفي رمضان آكد. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾(٥)، وذلك

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٦) برقم (١٩٥٥) كتاب الصوم باب: هل يقول إني صائم إذا شتم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٠١) كتاب الصيام باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٣) كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٤) كتاب الصوم باب: هل يقول إني صائم إذا شتم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٥) الإسراء: ٣٦.

بأن نحفظ أبصارنا من النظر إلى ما حرَّم الله تعالى في الخارج كالشوارع، أو في الداخل في البيوت على التلفاز أو النت أو الخلويات أو ما شابه.

٥- أن نحفظ أيدينا ولا نمدَّها إلى حرام أبدًا؛ لأنَّ " المسْلِمُ مَن سَلِمَ المسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه " رواه البخاري(١).

٦- أن نستعمل أرجلنا في المشي إلى ما يُرضي الله تعالى كالمساجد، ولا نمشي إلى ما حرَّم الله تعالى.

٧- أن نستعمل ألسنتا بما فيه مصلحة لنا في الدنيا والآخرة، ولا نتكلَّم بما لا يرضاه الله تعالى، حيث ينبغي على المسلم أن يجتنب أمورًا قد تُبطل صيامه، ومن أهمِّها:-

أ- الكذب: فالأصل في المسلم أن يكون صادقًا مع نفسه ومع الآخرين، بعيدًا عن الكذب، وأعظمه الكذب على الله تعالى أو على رسوله صلى الله عليه وسلم والكذب على الناس، ومن الكذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما يتجرَّأ به البعض من إصدار فتاوى خاصة بالصيام بغير علم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾(٢)، والنبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالصدق ويُحذِّر أشدَّ التحذير من الكذب بقوله:" عليكم بالصِّدقِ؛ فإنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يَهدي إلى الجنَّةِ، وما يزالُ الرَّجلُ يصدقُ، ويتحرَّى الصِّدقَ؛ حتَّى يُكتبَ عندَ اللهِ صدِّيقًا، وإيَّاكم والكذبَ؛ فإنَّ الكذبَ يَهدي إلى الفجورِ، وإنَّ الفجورَ يَهدي إلى النَّارِ، وما يزالُ العبدُ يَكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتَّى يُكتبَ عندَ اللهِ كذَّابًا" رواه البخاري(٣).

ب- وممَّا يلحق بالكذب قول الزور، حيث لا ينفع صيام معه، يقول النبي- صلى الله عليه وسلم:" مَن لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به؛ فليسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ " رواه البخاري(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (١٠) كتاب الإيمان باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(٢) النحل: ١١٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٥) برقم (٦٠٩٤) كتاب الأدب باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب. ورواه مسلم (٤/ ٢٠١٣) برقم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٣) كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.



ج- الغيبة: هي ذكْر معايب الناس، وقد حرَّمها الشارع الرحيم بقوله:﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1]،

وعن أنس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لما عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقومٍ لهُمْ أَظْفَارٌ من نُحاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وصُدُورَهُمْ، فقُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لُحُومَ الناسِ، ويَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ" رواه أبو داود[2].

د- النميمة: وهي نقْل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد بينهم، وقد حرَّمها الشارع الكريم بقوله:" لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ" رواه مسلم[3]، ويُعذَّب قبل ذلك في قبره، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال:" إنَّهما ليُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير، أمَّا أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأمَّا الآخر فكان يمشي بالنميمة" رواه البخاري[4].

هـ- سبُّ الناس وشتمهم، بل إنْ سبَّه أحدٌ أو شاتمه أو قاتله يقول: إِنِّي صائم، وفي الحديث:" إذا أصبح أحدكم يومًا صائمًا؛ فلا يرفث ولا يجهل، فإنِ امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إِنِّي صائم، إِنِّي صائم" رواه مسلم[5]. وعند البخاري:" الصيام جُنَّة، فلا يرفث ولا يجهل، وإنِ امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إِنِّي صائم مرتين"[6].

و- اتفق أهل العلم دون خلاف في أمر مَن ارتدَّ عن الإسلام أثناء الصوم فإنَّه يفسد صومه، ويجب عليه القضاء إن عاد إلى الإسلام، سواءً كانت عودته أثناء اليوم أم بعد انقضائه؛ ذلك أنَّ الصوم عبادة، ومن شرطها النية، فأبطلتها الردة[7].

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٩) برقم (٤٨٧٨) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٥١). صحيح الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٠١) برقم (١٠٥) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٣) برقم (٢١٨) كتاب الصوم باب ما جاء في غسل البول. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٤٠) برقم (٢٩٢) كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه

(٥) رواه مسلم (٢/ ٨٠٦) حديث رقم (١١٥١) كتاب الصيام باب حفظ اللسان للصائم.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٤) برقم (١٨٩٤) كتاب الصوم باب فضل الصوم.

(٧) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/ ١٣٣).



٨- أن نكون صادقين في معاملاتنا، فالتاجر المسلم صادق وأمين، لا يخون ولا يغش إخوانه في البيع ولا غيره؛ لأنَّه يعلم أنَّ" مَن غشَّنا فليس منَّا" رواه مسلم[١].

٩- أن نحرص على الاستماع للقرآن الكريم ودروس العلم، ونحفظ آذاننا من الاستماع إلى الكلام الحرام كالأغاني والموسيقى وغيرها، وفي الحديث:" ليكونَّنَّ من أمَّتي أقوامٌ يستحلون الحرَّ والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلَّنَّ أقوامٌ إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم- يعني الفقير- لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة" رواه البخاري[٢].

مَا صَامَ مَنْ لَمْ يَرْعَ حقَّ مُجاورٍ ... وأُخُوَّةٍ وقَرابةٍ وَصِحابِ

مَا صَامَ مَنْ أكَلَ اللحومَ بِغيبَةٍ ... أوْ قَالَ شرًا أوْ سَعَى لِخَرَابِ

مَا صَامَ مَنْ أدَّى شَهادةَ كاذِبٍ ... وَأَخَلَّ بالأَخْلاقِ وَالآدَابِ[٣]

(١) رواه مسلم (١/ ٩٩) حديث رقم (١٠١) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا».

(٢)رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٠٦) برقم (٥٥٩٠) كتاب الأشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.

(٣) الأبيات من قصيدة بعنوان: رمضان أقبل يا أولي الألباب لخير الدين وانلي. ينظر موقع مدونة الشعر العربي: .https://poetry.coiod.com/2020/04/blog-post_93.html

١١ رمضان

ما يباح للصائم فعله

في هذا الشهر الكريم" شهر الصوم" نجد العديد من أحكام التيسير والرفق بالمسلم الصائم، فالنظرة السطحية تقف أمام مظهر الجوع والعطش، أمَّا النظرة المتأمّلة تجد في الصومِ الخيرَ لديننا ولدنيانا، دون تعذيب للنفس أو حملها على جناح المشقة وهي لا تستطيع، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:" إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ" رواه البخاري(١)، وكان الإمام مالك- رحمه الله- يقول: إذا كانت الضرورة فإن دين الله يسر(٢).

ما يباح للصائم فعله في نهار رمضان:-

١- يباح للصائم أن يصبح جنبًا ثم يغتسل، فعن عائشة وأم سلمة- رضي الله عنهما-" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُدرِكُه الفجرُ وهو جُنبٌ مِن أهلِه ثمَّ يغتسِلُ ويصومُ" رواه البخاري(٣).

٢- الاحتلام، فلا شيءَ على من احتلم وهو صائم؛ لحديث النَّبي صلى الله عليه وسلم:" رُفِع القَلمُ عن ثلاثةٍ: عن النَّائمِ حتَّى يستيقظَ، وعن الصَّبي حتَّى يحتلِمَ، وعن المجنونِ حتَّى يَعقِلَ" رواه الترمذي(٤).

٣- الحائض والنفساءُ إذا انقطع الدَّم عنهما من الليل؛ جاز لهما تأخير الغسل إلى الصبح؛ وأصبحتا صائمتين، ثم عليهما أن تتطهَّرَا للصَّلاة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب الدين يسر.

(٢) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (١/ ٦٦٣). موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٩) برقم (١٩٢٥) كتاب الصوم باب الصائم يصبح جنبا.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ٢٢٤) برقم (٢٤٦٩٤). وأبو داود في سننه (٤/ ١٤٠) برقم (٤٤٠١) كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٢) برقم (١٤٢٣) أبواب الحدود باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٤٨٧) برقم (٧٣٠٣) كتاب الرجم، المجنونة تصيب الحد. وابن ماجه في سننه (١/ ٦٥٨) برقم (٢٠٤١) كتاب الطلاق باب طلاق المعتوه والصغير والنائم. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ٤).



٤- المضمَضةُ، والاستِنشاق من غير مبالغة عند الوضوء، أو خارجه؛ فعن لقيطِ بن صَبْرة- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا" رواه أبو داود[1]. قال الإمام ابن قدامة المقدسي- رحمه الله-:" وإن تمضْمضَ أو استنشَقَ في الطهارة، فسبق الماء إلى حلقه من غير قصدٍ ولا إسْراف؛ فلا شيء عليه"[2].

٥- والسواك؛ فيباح للصائم استعمال السواك في أي وقت، قبل الزوال أو بعده؛ ذهب إلى ذلك الحنفية والمالكية، وحكي عن الشافعي، وهو قول بعضِ الشافعية، ورواية عن أحمد، وهو اختيار النووي، وابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، وابن باز، والألباني، وابنِ عثيمين، وهو قول طائفة من السلف، وأكثر العلماء[3]، وذلك لعموم قوله صلى الله عليه وسلم:" لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ" رواه البخاري، ولم يُفرِّق بين الصائم وغيره كذلك أنَّه تطهير للفم، فلا يُكرَه للصائِم، كالمضمضة، ويجوز أن يستعمل الصائم معجون الأسنانِ لكن ينبغي الحذر من نفاذه إلى الحلق؛ وهو قول ابن باز[4]، وابن عثيمين[5]، وذهب إلى هذا مجمع الفقه الإسلامي[6]، وذلك قياسًا على السواك[7].

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ٣٥) برقم (١٤٢) كتاب الطهارة باب في الاستنثار. والترمذي في جامعه (٣/ ١٤٦) برقم (٧٨٨) أبواب الصوم باب ما جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ١١٠) برقم (٩٩) كتاب الطهارة، الأمر بالمبالغة في الاستنشاق لغير الصائم. وابن ماجه في سننه (١/ ١٤٢) برقم (٤٠٧) كتاب الطهارة وسننها المبالغة في الاستنشاق والاستنثار. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٨٥).

(٢) المغني لابن قدامة (٣/ ١٢٣).

(٣) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤١٩).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٢٦٠).

(٥) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٩/ ٣٥٤).

(٦) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٠/ ٩١٣)؛ (١٠/ ١٤١٣)؛ (١٠/ ١٤٣٣). مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، المؤلف: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، وقد صدرت في ١٣ عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة من المجلدات، كما يلي، العدد ١: مجلد واحد.، العدد ٢: مجلدان.، العدد ٥ و ٧ و ٩ و ١٢: كل منها ٤ مجلدات، بقية الأعداد: كل منها ٣ مجلدات، ومجموع المجلدات للأعداد الـ١٣: أربعون مجلدا.

(٧) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤١٩).

٦- التَّبرد بالماء من شدَّة الحرِّ، والنزول والانغماس فيه، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة الحنفية[١] والمالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤]؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ العَطَشِ أَوْ مِنَ الحَرِّ" رواه أبو داود[٥].

٧- التطيُّب والتبخُّر والتعطُّر بأنواع العطور، والادهان، والاكتحال، والقطرة، وتحليل الدم، هذه الأمور لا تفطر، سواء وجد طعمها في حلقه أم لم يجد، وذلك لعدم ورود النَّهي في كل هذا عن الشَّرع، والأصل في إباحة هذه الأشياء البراءة الأصليَّة. هذا ما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في رسالته "حقيقة الصيام"[٦]، وابن القيم في "زاد المعاد"[٧]، وهو مذهب الإمام البخاري، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٨].

---

(١) ينظر: الهداية في شرح بداية المبتدي (١/ ١٢٠). الهداية في شرح بداية المبتدي، المؤلف: علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (المتوفى: ٥٩٣هـ)، المحقق: طلال يوسف، الناشر: دار احياء التراث العربي – بيروت — لبنان.

(٢) ينظر: الجامع لمسائل المدونة (٥/ ٦٥٦). الجامع لمسائل المدونة، المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (ت ٤٥١ هـ)، المحقق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعها)، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٣) ينظر: بحر المذهب للروياني (٣/ ٢٩٠). بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي)، المؤلف: الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت ٥٠٢ هـ)، المحقق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.

(٤) ينظر: الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص: ٢٣٢). الروض المربع شرح زاد المستقنع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، الناشر: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٢٦٤) برقم (٢٣٢٢٣). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٠٧) برقم (٢٣٦٥) كتاب الصوم باب الصائم يصب عليه الماء من العطش ويبالغ في الاستنشاق. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٨٨) برقم (٣٠١٧) كتاب الصيام، صب الصائم الماء على رأسه. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٥).

(٦) ينظر: حقيقة الصيام (ص ٣٧). حقيقة الصيام، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، خرج أحاديها: محمد ناصر الدين الألباني، حققها: زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٠هـ.

(٧) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٥٨).

(٨)مريم: ٦٤.

٨- القُبلة والمباشرة- وما في معناها- للزوجة لمن قدر على ضبط نفسه؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ" رواه مسلم[(١)]؛ أي: لشهوته وحاجته. ولا فرق بين الشيخ والشاب في ذلك، والاعتبار بتحريك الشهوة؛ والضابط في ذلك أن يملكَ الإنسان شهوته، ويقدر على ضبط نفسه. قال ابن المنذر:" رخَّصَ في القُبلة عمر، وابن عبَّاس، وأبو هريرة، وعائشة، وعطاء، والشعبي، والحسن، وأحمد، وإسحاق[(٢)].

٩- ذوق الطعام أو القِدْر، بشرط ألا يصل إلى جوفه- أو حلقِه- منه شيء؛ كمعرفةِ استواءِ الطعام أو مقدار ملوحته، أو عند شرائه لاختباره، بِشرط أن يَمُجَّه بعد ذلك، أو يغسل فمه، أو يُدلِّك لسانه، وهذا مذهب الجمهور: الحنفية[(٣)] والشافعية[(٤)] والحنابلة[(٥)(٦)]، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال:" لا بأس أن يَتَطَعَّمَ القِدْرَ أو الشَّيء" رواه البخاري[(٧)].

١٠- السفر لحاجة مباحة، وإن كان يعلم أنَّ سفره سيُلجئه إلى الإفطار.

١١- وكذا يباح له ما لا يمكن الاحتراز منه، كبلع الريق ولو كثر، وغبار الطريق والمصانع، وغربلة الدقيق، والنخامَة، ودخان الحطب، وسائر الأبخرة التي لا يمكن التحرُّز منها.

١٢- التداوي بأي دواء حلال، لا يصل إلى جوفه منه شيء.

١٣- مضْغ الطعام لطفلٍ صغير لا يجد من يمضغ له طعامه الذي لا غنى له عنه، بشرط ألا يصل إلى جوف الماضغِ منه شيء.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٠) برقم (١٩٢٧) كتاب الصوم باب المباشرة للصائم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧) برقم (١١٠٦) كتاب الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته.

(٢) ينظر: الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٣/ ١٣٦). الإشراف على مذاهب العلماء، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، المحقق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، الناشر: مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة – الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ١٠٦).

(٤) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٥٤).

(٥) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٣/ ٣٢٦).

(٦) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤١٦).

(٧) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (٣/ ٣٠) كتاب الصوم باب اغتسال الصائم.

١٤- الاكتحال، وهو مذهب الحنفية والشافعية، وقول طائفة مِن السلف، وهو قول داود، واختيار ابن تيميةَ، والشوكانيّ، وابن باز، وابن عثيمين، والألباني، وذلك لأنَّ العين ليست منفذًا للجوف، ولو لطخ الإنسان قَدميه ووجد طعمه في حلقه لم يفطره؛ لأنَّ ذلك ليس منفذًا، فكذلك إذا اكتحل في عينِه[١].

١٥- استعمال قطرة العين، وقد ذهب إلى ذلك الحنفية والشافعية، وهو اختيار ابن باز، وابن عثيمين، وذلك للآتي: أولًا: أنَّ جوف العين لا يتسِع لأكثر من قطرة واحدة، والقطرة الواحدة حَجمها قليل جدًّا، وإذا ثبت ذلك فإنَّه يُعفَى عنه، فهو أقل من القدرِ المعفو عنه ممَّا يبقى من المضمضة. ثانيًا: لأنَّ هذه القطرةَ تمتص جميعها أثناء مرورها في القناة الدمعية، ولا تصل إلى البلعوم، وعندما تمتص هذه القطرة تذهب إلى مناطق التذوق في اللسان، فيشعر المريض بطعمها، كما قرر ذلك بعض الأطباء. ثالثًا: أنَّ القطرة في العين لم ينَص على كونها من المفطرات، وليست بمعنى المنصوص عليه[٢].

١٦- استعمال قطرة الأذن، وهو قول ابن حزم، وابن عثيمين، وابن باز؛ وذلك لأنَّ الأذن ليست منفذًا للطعام والشراب[٣].

١٧- ويباح للصائم أيضًا الحجامة والفصد، فقد كانت من جملة المفطرات ثم نسخت، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم. وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- احتجم وهو صائم" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[٤].

ختامًا: إنَّ المتأمل بعين الإنصاف في أحكام الشريعة ليدرك مدى الإتقان الرباني في بنائها وبُعدَها عن التعسُّف والتعنُّت، الأمر الذي جعلها أحاطت بالخير كله، فلم تدع منه شيئًا، ووضعت المسلم على طريق الرشاد في الدنيا والآخرة، فالحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة.

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤٢٠).

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤٢١).

(٣) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤٢٢).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٠٩) برقم (٢٣٧٢) كتاب الصوم باب في الرخصة في ذلك. والترمذي في جامعه (٣/ ١٣٨) برقم (٧٧٦) أبواب الصوم باب ما جاء من الرخصة في ذلك. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٠) برقم (٣٢٠٢) كتاب الصيام، ذكر اختلاف الناقلين لخبر عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٢٩) برقم (٣٠٨١) كتاب المناسك باب الحجامة للمحرم. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٧٥). والحديث في البخاري بلفظ: «أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم، واحتجم وهو صائم» صحيح البخاري (٣/ ٣٣) برقم (١٩٣٨) كتاب الصوم باب الحجامة والقيء للصائم.

١٢ رمضان

من فطر صائمًا فله مثل أجره

من المنح الإلهية لهذه الأمة في هذا الشهر أنَّ مَن فطَّر صائمًا ولو على تمرة؛ كان له مثل أجر الصائم غير أنَّه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا؛ فعن زيد بن خالد الجهَني- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن فطَّرَ صائمًا كانَ لَهُ مثلُ أجرِه، غيرَ أنَّهُ لا ينقُصُ من أجرِ الصَّائمِ شيئًا " رواه الترمذي[١]، وفي هذا دعوة للبذل والعطاء في هذا الشهر، وهو هدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان أجود بالخير في هذا الشهر من الريح المرسلة؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ- رَضِي الله عَنهُمَا- قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ" رواه البخاري ومسلم[٢].

وفي رواية سلمان الفارسي- رضي الله عنه:" مَن فطَّر فيه صائمًا كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء، قلنا: يا رسول الله؛ ليس كلُّنا نجد ما نُفطر به الصائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُعطي الله هذا الثواب مَن فطَّر صائمًا على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة " رواه البيهقي[٣].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ١٦٢) برقم (٨٠٧) أبواب الصوم باب ما جاء في فضل من فطر صائما. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٥) برقم (٣٣١٨) كتاب الصيام، ثواب من فطر صائمًا، وذكر الاختلاف على عطاء في الخبر فيه. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٥٥) برقم (١٧٤٦) كتاب الصيام باب في ثواب من فطر صائمًا. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٦) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٣) برقم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٢٤) برقم (٣٣٣٦). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.



وأمَّا قوله:" وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ" فهذا جزاؤه مغفرة لذنوبه، وسقاه الله من حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة؛ وكان له مثل أجر الصائم، ولما كان الإشباع أكثر فضلًا من مجرد إسقاء مذقة لبن، أو إطعام تمرة، أو إسقاء شربة ماء، كان الجزاء أعظم أجرًا؛" وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ، وَسَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ"، أو يكون المعنى أنَّه يعطى هذا الثواب عند العجز عن الإشباع، قاله أبو الحسن المباركفوري[(١)]، وهذا الحديث دليل على فضل تفطير الصائم، وإنَّ في ذلك أجرًا عظيمًا، وهو مثل أجر الصائم، لأنَّه صائم يستحق التعظيم، وإطعامه صدقة، وتعظيم للصوم وصلة بأهل الطاعات، وهذا أمر اعتاده المسلمون لإدراكهم الثواب الجزيل المرتَّب على ذلك، فإنَّ شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، وتفطير الصائم له مجالات مُتعدِّدة من إطعام الفقير ما يأكل، أو دفع مال له يشتري به طعامًا. على أنَّ ذلك غير خاص بالفقير، وقد كان السلف الصالح من هذه الأمَّة يحرصون على إطعام الطعام وتفطير الصائمين، ويُقدِّمون ذلك على كثير من العبادات سواء كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخ صالح، ولهم أخبار مشهورة، قال بعض السلف:" لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعامًا يشتهونه أحبُّ إليَّ من أن أُعتق عشرة من ولد إسماعيل"[(٢)]، وكان كثيرٌ من السلف يُؤْثر بفطوره وهو صائم؛ منهم عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- وأحمد بن حنبل وداود الطائي ومالك بن دينار[(٣)]، وكان من السلف من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم الحسن البصري وعبد الله بن المبارك[(٤)].

قال الإمام الشافعي- رحمه الله-:" أحبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن

---

(١) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٤١٩). مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٧٩). اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: جسم الفهيد الدوسري، الناشر: مكتبة دار الأقصى — الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ — ١٩٨٥.

(٣) نظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٧٨).

(٤) ينظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٧٩).

مكاسبهم[١]؛ فينبغي للإنسان أن يتأسَّى بنبيِّه صلى الله عليه وسلم فيبذل ويتصدَّق ليواسي الفقراء والمحتاجين، ويتفقَّد الجيران، ويصل ذوي الأرحام، ويساهم في مشاريع الخير، ولعل ممَّا يُحرِّك داعي الإنفاق أن يتذكَّر الإنسان بالصوم نعم الله عليه، والنعمة لا تُعرَف إلَّا بفقدانها، فيشكر نعمة الله عليه حيث يسَّر له الحصول على ما يشتهي ممَّا أباح الله له، ويتذكَّر إخوانه الفقراء الذين لا يتيسَّر لهم ما يحتاجون فيجود عليهم بالصدقة والإحسان.

والجمع بين الصيام وإطعام الطعام أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم إذا انضم إلى ذلك قيام الليل. قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل- رضي الله عنه-:" ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢]، رواه ابن ماجه والترمذي[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: والمراد بتفطيره: أن يُشبعه[٤].

---

(١) ينظر: الحاوي الكبير (٣/ ٤٧٩). الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض- الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

(٢) السجدة: ١٦ – ١٧.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٤٤) برقم (٢٢٠١٦). الترمذي في جامعه (٥/ ١١) برقم (٢٦١٦) أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٤) برقم (١١٣٣٠) كتاب التفسير قوله تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة: ١٦]، وقوله تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: ١٧]. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٤) برقم (٣٩٧٣) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٩١٣).

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٧٧). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.



قال الملا على القاري: ولعلَّ الاكتفاء بالإشباع في الشرط لأنَّه أفضل أو لكونه أصلًا في الدنيا، وبالإسقاء في الجزاء لكون الاحتياج إليه أكثر، بل لا احتياج إلَّا إليه في العُقبى(١)، وقيل: يُعطَى الأجر كاملًا ولو فطَّر الصائم على أدنى شيء(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في شرحه على رياض الصالحين: واختلف العلماء في معنى (مَن فطَّر صائمًا) فقيل: إنَّ المراد من فطَّره على أدنى ما يفطر به الصائم، ولو بتمرة، وقال بعض العلماء: المراد بتفطيره أن يُشبعه، لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله، وربما يستغني عن السحور؛ لكن ظاهر الحديث أنَّ الانسان لو فطَّر صائمًا ولو بتمرة واحدة؛ فإنَّ له أجره(٣).

قال المناوي: (مَن فطَّر صائمًا) بعشائه، وكذا بتمر، فإن لم يتيسَّر فبماء.

قال ابن علان في دليل الفالحين: أي ولو بالماء(٤).

وجاء في نزهة المتقين: (من فطَّر صائمًا) أي قدَّم له شيئًا يُفطر عليه ولو تمرة أو شربة ماء(٥).

وقوله: (وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء) استدراك لما قد يُتوَّهم من أنَّ إثابته كذلك تنقص ثواب الصائم، وإنَّما لم تنقص إثابته بذلك إثابة الصائم لاختلاف جهة ثوابهما، كما لا ينقص ثواب الدالِّ على الهدى ثواب فاعله، وهذا ما رجَّحه بعض المحدِّثين المعاصرين من أمثال شيخنا الشيخ عبد العزيز السعيد- حفظه الله-، والأجر الذي للمفطر إنَّما هو لمن أشبع، لا لمن ابتدأ بالإطعام، فليس من قدَّم تمرة كمن ذبح شاة وأطعم خبزًا.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٣٦٩). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين (٥/ ٣١٥). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ..

(٣) شرح رياض الصالحين (٥/ ٣١٥).

(٤) فيض القدير (٦/ ١٨٧). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٥) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين (٨٩٠). نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تأليف: الدكتور: مصطفى سعيد الخن وآخرون. نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

ختامًا: ينبغي للإنسان أن يحرص على إفطار الصائمين قدر المستطاع، لا سيما مع حاجة الصائمين وفقرهم، أو حاجتهم لكونهم لا يجدون من يقوم بتجهيز الفطور لهم، وما أشبه ذلك.

أطْعِـمْ فَقِيـرًا فَـذاكَ الخَيـرُ تَكْنِـزهُ ... يَـومَ الحِساب تَجِدْ مَا جُدَّت ضَاعَفَهُ

لَا خَيرَ فِي مَنْ يَبِيتُ اللَّيلَ فِي شَبَعٍ ... والجـارُ قَدْ بات جُـوعٌ قـضَّ مَضْـجَعَهُ

إطعامُ مِسكينٍ خَيْرٌ مِنْ كَثيرِ عَمَلْ ... إيَّـاكَ والبُخـلَ شَـرٌّ بِئـسَ مَرْتَـعَهُ يُعْظِمْ

أطْعِمْ طَعامَكَ لِلْمُحْتاجِ مُدَّخَـــرٍ ... لَكَ الأجـــــرَ حِلَّ الرِّزق أجْزَلَهُ[١]

(١) الأبيات من قصيدة بعنوان إطعام الطعام للشاعر عطا سليمان رموني. ينظر:
https://arabvoice.com/70935/%D8%A5%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%B9%D8%B7%D8%A7-%D8%B1%D9%85%D9%88%D9%86%D9%8A/



١٣ رمضان

مفسدات الصوم وشروطها (العلم والذكر والقصد)

تتعدَّد الأمور التي يفسد بها الصوم، ويبطل بها الصيام، والمفطرات عامَّة- ما عدا الحيض والنفاس- لا يفطر بها الصائم إلا بشروط ثلاثة:

أ- أن يكون عالمِا غير جاهل: إذ يُعذَر المكلَّف إن ارتكب أحد مبطلات الصوم وهو جاهل بأنَّه مبطل للصيام، إلَّا أنَّ بعض الفقهاء لم يعذر بالجهل إلَّا من كان حديث عهد بالإسلام، أو نشأ في غير دار الإسلام.

ب- أن يكون ذاكرًا غير ناسٍ: ومنها كذلك الذِّكر وعدم النسيان؛ فلا يُؤاخَذ المكلَّف في حال ارتكاب أحد مبطلات الصيام نسيانًا. فإن ارتكب المكلَّف أحد مبطلات الصيام؛ ظنًّا منه أنَّ الفجر لم يطلع، وكان قد طلع، فإنه يُفطِر، ويجب عليه قضاء ذلك اليوم. وإن أفطر المكلَّف؛ ظنًّا منه أنَّ الشمس قد غابت، وتبيَّن بعدها أنَّها لم تغب بعد؛ فلا إثم عليه، ويجب عليه قضاء ذلك اليوم؛ لما رُوي عن أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنها- أنَّها قالت:" أَفْطَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَومَ غَيْمٍ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ. قيلَ لِهِشَامٍ: فَأُمِرُوا بالقَضَاءِ؟ قالَ: لا بُدَّ مِن قَضَاءٍ. وقالَ مَعْمَرٌ: سَمِعْتُ هِشَامًا: لا أدْرِي أقَضَوْا أمْ لَا. "رواه البخاري[(١)].

ج- أن يكون مختارًا غير مضطر ولا مُكرَه: إذ يُعذَر المكلَّف في حال الإكراه على ارتكاب أحد مبطلات الصيام، ويُعَدُّ صيامه صحيحًا؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ تعالى وضع عن أُمَّتي الخطأَ، والنسيانَ، وما اسْتُكرِهوا عليه" رواه ابن ماجه[(٢)].

والمفطرات سبعة أنواع: الأول: الجماع: وهو إيلاج الذَّكَر في الفرج، وهو أعظمها وأكبرها إثمًا، فمتى جامَع الصائمُ بطل صومُه، فرضًا كان أو نفلًا، ثم إن كان في نهار رمضان، والصوم واجب عليه؛ لزمه مع القضاء الكفارة المغلَّظة، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما إلا لعذر شرعي كأيام العيدين والتشريق، أو لعذر حسِّي كالمرض والسفر لغير قصد الفطر، فإن أفطر لغير عذر ولو يومًا واحدًا لزمه استئنافُ الصيام من جديد ليحصل التتابع، فإن لم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٧) برقم (١٩٥٩) كتاب الصوم باب إذا أفطر في رمضان ثم طلعت الشمس.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٥٩) برقم (٢٠٤٥) كتاب الصوم باب طلاق المكره والناسي. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ١٢٣).



يستطع صيام شهرين متتابعين فإطعام ستين مسكينًا؛ لكل مسكين نصف كيلو وعشرة جرامات من البُرِّ الجيِّد، وفي الصحيحين أنَّ رجلًا واقع امرأته في نهار رمضان فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلَكْتُ. قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟..."[١].

الثاني: إنزال المني اختيارًا: سواء بتقبيلٍ أو لمسٍ أو استمناء أو غير ذلك في نهار رمضان؛ لأنَّ هذا من الشهوة التي لا يكون الصوم إلَّا باجتنابها، كما جاء في الحديث القدسي:" يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي" رواه البخاري ومسلم[٢]. أمَّا إذا باشر فأمذى، أو استمنى فأمذى فلا يفسد صومه، وصومه صحيح، وهو اختيار الشيخ ابن عثيمين، وقال: إن هذا اختيار شيخ الإسلام، والحجة فيه عدم وجود الحجة؛ لأنَّ الصوم عبادة لا تفسد إلَّا بدليل[٣]، وهو قول أبي حنيفة[٤] والشافعي[٥]، وكذا الإنزال بالاحتلام أو بالتفكُّر المجرَّد عن العمل لا يُفطر؛ لأنَّه بغير اختيار الصائم، والتفكير معفوٌّ عنه لما صحَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ" رواه البخاري[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٢) برقم (١٩٣٦) كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، فتصدق عليه فليكفر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٨١) برقم (١١١١) كتاب الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيانها، وأنها تجب على الموسر والمعسر وتثبت في ذمة المعسر حتى يستطيع.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٥٥) برقم (٩١١٢). ولم أقف عليه بهذا اللفظ عند البخاري ومسلم، لكن رواه مسلم بلفظ: "إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي" صحيح مسلم (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٣) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٣٧٦).

(٤) ينظر: الجوهرة النيرة على مختصر القدوري (١/ ١٣٩). الجوهرة النيرة، المؤلف: أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبِيدِيّ اليمني الحنفي (المتوفى: ٨٠٠هـ)، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ.

(٥) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٣/ ٥٠٨). البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٤٦) برقم (٥٢٦٩) كتاب الطلاق باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر ومسلم في صحيحه (١/ ١١٦) برقم (١٢٧) كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر.



الثالث: الأكل أو الشرب عمدًا: فإذا أكل الصائم أو شرب عامدًا مُختارًا فسد صومه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[1]. الرابع: ما كان بمعنى الأكل أو الشرب: مثل الإبر المغذِّية التي يُكتفى بها عن الأكل والشرب؛ لأنَّها إن لم تكن أكلًا وشُربًا حقيقة؛ فإنَّها بمعناهما، فتثبت لها حكمهما، ولقد اتفق أهل العلم على أن تعمُّد الأكل أو الشُّرب في نهار رمضان من مبطلات الصيام، ويأثم فاعله، ويجب عليه إمساك بقية يومه، والقضاء، دون وجوب الكفارة عليه[2]، أمَّا الأكل أو الشرب في نهار رمضان سهوًا من غير قصدٍ؛ فلا يبطل الصيام، ولا يوجب القضاء، ولا الكفارة؛ لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن نَسِيَ وَهو صَائِمٌ، فأكَلَ، أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فإنَّما أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ" رواه البخاري[3].

الخامس: التقيُّؤ عمدًا: وقد ذهب جمهور العلماء من المالكية[4]، والشافعية[5]، والحنابلة[6] إلى أنَّ الاستقاءة مبطلةٌ للصيام في رمضان، ويتوجَّب القضاء بسببها. واستدلُّوا على قولهم بما روي عن رسول

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣١) برقم (١٩٣٣) كتاب الصوم باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيا. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٩) برقم (١١٥٥) كتاب الصيام باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر.

(٣) ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٤٧٢). المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، المؤلف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، المحقق: حميش عبد الحقّ، الناشر: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز – مكة المكرمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة: بدون.

(٤) ينظر: العزيز شرح الوجيز (٣/ ١٩١). العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، المحقق: علي محمد عوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٥) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٤٤١). الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ٢٨٣) برقم (١٠٤٦٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٣١٠) برقم (٢٣٨٠) كتاب الصوم باب الصائم يستقيء عمدًا. والترمذي في جامعه (٣/ ٨٩) برقم (٧٢٠) أبواب الصوم باب ما جاء فيمن استقاء عمدا. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣١٧) برقم (٣١١٧) كتاب الصيام ذكر الاختلاف على هشام الدستوائي. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٣٦) برقم (١٦٧٦) كتاب الصيام باب ما جاء في الصائم يقيء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٥١).

الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن ذرعَهُ قَيءٌ وَهوَ صائمٌ؛ فلَيسَ علَيهِ قضاءٌ، وإن استَقاءَ فليقضِ" رواه أبو داود[١]. أمَّا الحنفية ففصَّلوا في بطلان الصيام بالاستقاءة، ووجوب القضاء بسببها؛ إذ اشترطوا أن يكون الصائم عامدًا للقيء، ومُتذكِّرًا الصيام، وأن يكون القيء ملء الفم، أو أكثر[٢].

السادس: خروج دم الحيض والنفاس: لقول النبي صلى الله عليه وسلم في المرأة:" أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ" رواه البخاري[٣].

السابع: الجنون؛ أجمع أهل العلم على عدم وجوب الصيام على المجنون، وبطلان صيامه، ونقل الإجماع الإمام النووي، إذ قال:" المجنون لا يلزمه الصوم في الحال بالإجماع، للحديث وللإجماع"[٤]، بالإضافة إلى الحديث الذي روي عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- إذ قال: "يا أميرَ المؤمنين؛ أما علِمتَ أنَّ القلمَ قد رُفِع عن ثلاثةٍ؛ عن المجنونِ حتَّى يبرأَ، وعن النَّائمِ حتَّى يستيقظَ، وعن الصَّبيِّ حتَّى يعقِلَ" رواه أبو داد[٥]، وهذا في حال كان الجنون مُلازمًا مُطبقًا. أمَّا إن كان الجنون مُؤقَّتًا، وأفاق المكلَّف في جميع نهار رمضان؛ وجب عليه الصيام.

وتجدر الإشارة إلى اختلاف أهل العلم في صحة صيام المكلَّف الذي شرع في الصيام، ثم طرأ عليه الجنون: فقد ذهب المالكية[٦]، والشافعية[٧] إلى بطلان الصيام بالجنون الطارئ؛ قياسًا على بطلان صيام المرأة بسبب الحيض، وكلاهما عارض يُفسِد الصيام، كما قال الإمام الشافعي- رحمه الله-: إذا وُجِد الجنون في جزء من النهار أفسد الصوم؛ لأنَّه معنى يمنع الوجوب، فأفسده وجوده في بعضه

---

(١) ينظر: الأصل المعروف بالمبسوط للشيباني (٢/ ٣١٠). الأصل المعروف بالمبسوط، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، المحقق: أبو الوفا الأفغاني، الناشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية –كراتشي.

(٢) المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٥٤).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٤٠) برقم (٤٣٩٩) كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ٥).

(٤) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٢/ ٤٢٢). مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٥) ينظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٣/ ١٧٢). حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر الشاشي القفال الفارقيّ، الملقب فخر الإسلام، المستظهري الشافعي (المتوفى: ٥٠٧هـ)، المحقق: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة، الناشر: مؤسسة الرسالة / دار الأرقم - بيروت / عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.

(٦) نقله عنه ابن قدامة في المغني (٣/ ١١٦).

(٧) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/ ١١٦).



كالحيض، وذهب الحنابلة؛ إذ قالوا بعدم فساد صيام المكلَّف بسبب الجنون الطارئ الذي لا يبقى طوال النهار، ولم يأخذوا بقياس الجنون بالحيض، واعتبروه قياسًا فاسدًا؛ لوجود اختلافٍ عظيمٍ بين الجنون والحيض، لا سيما أنَّ الحيض لا يمنع وجوب الصيام؛ إذ يجب على الحائض قضاء ما أفطرته، أمَّا المجنون فلا يجب عليه قضاء ما فاته من الصيام بسبب الجنون، وبيَّنوا أنَّ أقرب ما يُمكن قياس الجنون الطارئ به هو الإغماء، والمغمى عليه لا يبطل صيامه في حال كان الإغماء في جزءٍ من النهار؛ ولذلك قالوا بصحة صيام من طرأ عليه الجنون جزءًا من النهار.



١٤ رمضان

يريد الله بكم اليسر

(صوم المسافر والمريض والحامل والمرضع والشيخ الكبير)

الشريعة الإسلامية قائمة على التيسير ورفْع الحرج عن الناس، فلم تأمرهم إلَّا بما في استطاعتهم ومقدرتهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٢]، والمتأمِّل لكثير من الأحكام المتعلِّقة بالصيام يجد ذلك واضحًا جليًّا؛ خصوصًا لأهل الأعذار.

أولًا: المسافر: رخَّص الله سبحانه للمسافر بالفطر في نهار رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣]؛ على أن يقضي ما أفطره بعد رمضان، فقد روى الإمام مسلم عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَجِدُ بِي قُوَّةً عَلَى الصِّيَامِ فِي السَّفَرِ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " هِيَ رُخْصَةٌ مِنْ اللَّهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ"[٤].

ومن شروط فطر المسافر في رمضان: أن يخرج مسافة تُسمَّى سفرًا، وقد وقع خلاف بين الفقهاء في تحديد هذه المسافة، والذي يظهر- والله أعلم- أنَّ تقديرها بالمسافة أحوط من العرف، وهي أربعة برد، وتقدر بـ ٨١كم، وقيل: ٨٥ كم، وألَّا يقصد التحايل بالسفر على الفطر، وللمسافر الفطر بعد أن عزم على الصوم، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم خرج صائمًا ثم أفطر أثناء النهار، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: " إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ الكديد أفطر، فأفطر الناس" رواه البخاري[٥].

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٩٠) برقم (١١٢١) كتاب الصيام باب التخيير في الصوم والفطر في السفر.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٤) برقم (١١٢١) كتاب الصوم باب إذا صام أياما من رمضان ثم سافر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٨٤) برقم (١١٢١) كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم، ولمن يشق عليه أن يفطر.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: ويجوز الفطر للمسافر باتفاق الأُمَّة، سواء كان قادرًا على الصيام، أو عاجزًا، وسواء شقَّ عليه الصوم، أو لم يشقَّ، بحيث لو كان مسافرًا في الظلِّ والماء ومعه من يخدمه؛ جاز له الفطر والقصر[١].

ثانيًا: المريض: قال ابن قدامة: أجمع أهل العلم على إباحة الفطر للمريض في الجملة[٢]، وأمَّا ضابط المرض المبيح للفطر فهو الضرر، فلا بُدَّ أن يتضرَّر بالصوم بأن يكون سببًا في زيادة مرضه أو ألمه أو تأخر بُرئه.

والمريض في رمضان له أحوال: الحالة الأولى: لا يجوز له الفطر؛ وذلك إذا كان المرض يسيرًا، فتحصيل مصلحة الصوم أعظم من درء مفسدة هذا المرض اليسير، ولأنَّ الإنسان لا يكاد يخلو منها.

الحالة الثانية: مريض يحرُم عليه الصوم، وهو الذي غلب على الظنِّ تضرُّره بالمرض، بأن أخبره الطبيب بأنَّ صيامه قد يزيد المرض أو قد يتلف العضو، فهذا يحرُم عليه أن يصوم؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا ضرر ولا ضرار" رواه ابن ماجه[٣]، فيحرم على الإنسان أن يضر بنفسه، فيجب عليه أن يُفطر ويحرُم عليه الصوم.

الحالة الثالثة: مريض يُستحبُّ له الفطر، وذلك إذا تيَّقن أنَّه لا يتضرَّر بالصوم، ولكنه يشقُّ عليه، أو غلب على الظنّ عدم تضرُّره بالصوم فيُستحبُّ له الفطر؛ أخذًا بالرخصة.

والعجز عن الصيام ينقسم إلى قسمين: عجز دائم ككبر سن أو مرض لا يُرجى زواله، فحكمه أنَّه يُفطر ويُطعم عن كل يومٍ مسكينًا. بدليل ما صحَّ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾[٤]، قال:"كَانَتْ رُخْصَةً لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ، وَهُمَا يُطِيقَانِ الصِّيَامَ أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا" رواه أبوداود[٥]، والعجز

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢١٠). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٢) المغني لابن قدامة (٣/ ١٥٥).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٥٥) برقم (٢٨٦٥). وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٨٤) برقم (٢٣٤٠) كتاب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٤٩٨).

(٤) البقرة: ١٨٤.

(٥)رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٩٦) برقم (٢٣١٨) كتاب الصوم باب من قال هي مثبتة للشيخ والحبلى. والحديث حكم عليه الألباني بالشذوذ كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٦٤).



الطارئ المؤقَّت الذي يُمكن أن يزول كالمريض الذي يُرجى بُرئه، فهو عاجزٌ حال مرضه، فهذا لا يُنافي القُدرة على الصيام، فهو قادرٌ على الصيام لكن يُخفَّف عنه، فلا يلزمه الصوم، ويجب عليه القضاء إذا زال عذره؛ لقول الله عز وجل:﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1]، وهذا في العذر المؤقَّت.

ومن الأحكام المتعلِّقة بالمريض في شهر رمضان أحكام المغمى عليه. قال الشيخ ابن باز في مجموع الفتاوى: ليس على من فقد وعيه القضاء إذا أصابه ما يُذهِب عقله أو ما يُسمَّى بالإغماء، فإذا استردَّ وعيه لا قضاء عليه، فمثله مثل المجنون والمعتوه لا قضاء عليه، إلَّا إذا كان الإغماء مُدَّة يسيرة كاليوم واليومين أو الثلاثة على الكثير؛ فلا بأس بالقضاء احتياطًا، أمَّا إذا طالت المدَّة فهو كالمعتوه لا قضاء عليه، وإذا ردَّ الله عقله يبتدئ العمل، ولا على أبنائه لو مات أن يقضوا عنه[2].

ثالثًا: الحامل والمرضع: فالمرأة إذا كانت حاملًا أو مرضعًا، وخافت على نفسها أو ولدها بسبب الصوم؛ جاز لها الفطر، لما رواه أنس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" إنَّ اللَّهَ تعالى وضعَ شطرَ الصَّلاةِ أو نصفَ الصَّلاةِ والصَّومَ عنِ المسافرِ وعنِ المرضعِ أوِ الحُبلى" رواه أبو داود[3].

قال ابن قدامة- رحمه الله- في المغني: الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما؛ فلهما الفطر، وعليهما القضاء فحسب. لا نعلم فيه بين أهل العلم اختلافًا؛ لأنَّهما بمنزلة المريض الخائف على نفسه[4]، كذلك إذا خافت الحامل أو المرضع على ولدها فقط، فالصحيح من أقوال أهل العلم أنَّ لها الفطر وعليها القضاء مع الإطعام، لقول ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-:" والمرضع والحبلى إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا" رواه أبو داود[5].

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٢١٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٣٩٢) برقم (١٩٠٤٧). وأبو داود في سننه (٢/ ٣١٧) برقم (٢٤٠٨) كتاب الصوم باب اختيار الفطر. والترمذي في جامعه (٣/ ٨٥) برقم (٧١٥) أبواب الصوم باب ما جاء في الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٦٣) برقم (٢٦٣٦) كتاب الصيام، وضع الصيام عن الحبلى، والمرضع. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٣٣) برقم (١٦٦٧) كتاب الصيام باب ما جاء في الإفطار للحامل والمرضع. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٩).

(٤) المغني لابن قدامة (٣/ ١٤٩).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٩٦) برقم (٢٣١٨) كتاب الصوم باب من قال هي مثبتة للشيخ والحبلى. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٢٥).



رابعًا: الشيخ الكبير الهرم الفاني الذي وهن العظم منه، وبلغ من الكبر عِتيًّا، ومثله المرأة العجوز التي أضعفها الكبر، والمريض المزمِن- الذي لا يُرجَى بُرؤه من مرضه- فهؤلاء إذا كان الصِّيام يجهدهم، ويشقُّ عليهم مشقَّة شديدة؛ فإنَّه يُرخَّص لهم في الفطر، ولا صوم عليهم بإجماع العلماء، كما نقل ذلك ابن المنذر في الإجماع[١]، وغيره[٢]، وإنَّما عليهم الفدية فيُطعمون عن كل يومٍ مسكينًا، والدَّليل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾[٣]، وقد صحَّ النقل عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّه قال في تفسير الآية:" ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيُطعمان مكان كلِّ يومٍ مسكينًا"[٤].

وأخيرًا: فعلى هؤلاء الذين يجوز لهم الفطر أن يأخذوا بالرخصة فيفطروا، جاء في الحديث عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله يُحبُّ أن تُؤتَى رُخصُه كما يكره أن تُؤتى معصيتُه" رواه أحمد[٥]، وفي رواية أخرى:" إنَّ الله يُحبُّ أن تُؤتَى رُخصُه كما يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمُه" رواه ابن حبان أيضًا[٦].

---

(١) ينظر: الإجماع لابن المنذر (ص: ٥٠). الإجماع، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢) ينظر: مراتب الإجماع (ص: ٤٠). مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) البقرة: ١٨٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥) برقم (٤٥٠٥) كتاب تفسير القرآن باب قوله: {أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون}.

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٠/ ١٠٧) برقم (٥٨٦٦). والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٩).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٦٩) برقم (٣٥٤) كتاب البر والإحسان ذكر الإخبار عما يستحب للمرء من قبول ما رخص له بترك التحمل على النفس ما لا تطيق من الطاعات. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٥٦). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.



١٥ رمضان

صلاة الجماعة والحث عليها

تُعَدُّ صلاة الجماعة في المسجد من أفضل الطاعات التي يتقرَّب بها العبد إلى الله؛ لما فيها من إظهارٍ لشعائر الإسلام، وإبانة لوحدة الأمَّة، فضلًا عمَّا تُتيحه صلاة الجماعة من اجتماع المسلمين وتواصلهم بالخير، وتفقُّد أحوال بعضهم على اختلاف أصولهم وتعدُّد قبائلهم، وقد شرع الله الكثير من الصلوات التي يجتمع فيها المسلمون في أوقات واحدة، كصلاة الجمعة، والعيدين، والصلوات الخمس.

وتُعرَف الجماعة في اللغة بالكثرة والجمع والمراد تأليف المتفرّق؛ ولذلك يُسمَّى المسجد بالجامع؛ لأنَّه يجمع الناس، وهي صفة للمسجد، أمَّا الجماعة فهم الأشخاص الذين يجتمعون لهدف واحد.

وفيما يتعلَّق بتعريفها في الاصطلاح، فهو لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ إذ إنَّ أقل عدد للجماعة اثنان فأكثر، وسُمِّيت صلاة الجماعة بهذا الاسم؛ لتجمُّع الناس للصلاة في نفس الزمان والمكان، والاشتراك في العمل نفسه.

وصلاة الجماعة فرض عين لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:" وَالذي نَفْسِي بيَدِهِ؛ لقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بحَطَبٍ، فيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلَاةِ، فيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهُمْ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ لو يَعْلَمُ أحَدُهُمْ، أنَّه يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ؛ لَشَهِدَ العِشَاءَ" رواه البخاري(١).

ولقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ صلاة الجماعة فضلها عظيم وثوابها كبير، وتزيد على صلاة المنفرد بدرجات، ومن هذه الأحاديث: ما روى عن أبي هريرة- رضى الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" صَلَاةُ الرَّجُلِ في الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ علَى صَلَاتِهِ في بَيْتِهِ، وفي سُوقِهِ، خَمْسًا وعِشْرِينَ ضِعْفًا، وذلكَ أنَّهُ: إذَا تَوَضَّأَ، فأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُهُ إلَّا الصَّلَاةُ؛ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلَّا رُفِعَتْ له بهَا دَرَجَةٌ، وحُطَّ عنْه بهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عليه ما دَامَ في مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عليه، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، ولَا يَزَالُ أحَدُكُمْ في صَلَاةٍ ما انْتَظَرَ الصَّلَاةَ" رواه البخاري(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣١) برقم (٦٤٤) كتاب الأذان باب وجوب صلاة الجماعة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣١) برقم (٦٤٧) كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة وكان الأسود: «إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجد آخر» وجاء أنس بن مالك: «إلى مسجد قد صلي فيه، فأذن وأقام وصلى جماعة».



وصلاة الجماعة لها فوائد كثيرة، ومصالح عظيمة، ومنافع مُتعدِّدة، منها ما يأتي:

شرع الله عز وجل لهذه الأمَّة الاجتماع في أوقات معلومة، منها ما هو في اليوم والليلة كالصلوات الخمس، ومنها ما هو في الأسبوع وهو صلاة الجمعة، ومنها ما هو في السنة مُتكرِّرًا وهو صلاة العيدين لجماعة كل بلد، ومنها ما هو عام في السنة وهو الوقوف بعرفة؛ لأجل التواصل وهو الإحسان، والعطف، والرعاية؛ ولأجل نظافة القلوب، والدعوة إلى الله عز وجل بالقول والعمل، والتوادد وهو التحابُّ لأجل معرفة أحوال بعضهم لبعض، فيقومون بعيادة المرضى، وتشييع الموتى، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين؛ ولأنَّ ملاقاة الناس بعضهم لبعض توجب المحبة، والألفة، والتعارف؛ لأنَّ الناس إذا صلى بعضهم مع بعض حصل التعارف، وقد يحصل من التعارف معرفة بعض الأقرباء فتحصل صلته بقدر قرابته، وقد يعرف الغريب عن بلده فيقوم الناس بحقِّه، وإظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام؛ لأن الناس لو صلوا كلُّهم في بيوتهم ما عُرِف أنَّ هنالك صلاة، وإظهار عز المسلمين، وذلك إذا دخلوا المساجد ثم خرجوا جميعًا؛ ففي هذا إغاظة لأهل النفاق والكافرين، وفيه البُعد عن التشبُّه بهم والبُعد عن سبيلهم.

كذلك تعليم الجاهل؛ لأنَّ كثيرًا من الناس يستفيد ممَّا شرع في الصلاة بواسطة صلاة الجماعة، ويسمع القراءة في الجهرية فيستفيد ويتعلَّم، ويسمع أذكار أدبار الصلوات فيحفظها، ويقتدي بالإمام ومن بجانبه وأمامه فيتعلَّم أحكام صلاته، ويتعلَّم الجاهل من العالم، وتشجيع المتخلِّف عن الجماعة، والقيام بإرشاده وتوجيهه، والتواصي بالحق والصبر عليه، وتعويد الإنسان ضبط النفس؛ لأنَّه إذا اعتاد على متابعة الإمام متابعة دقيقة، لا يُكبِّر قبله، ولا يتقدَّم ولا يتأخَّر كثيرًا، ولا يوافقه بل يتابعه؛ تعوَّد على ضبط النفس، واستشعار المسلم وقوفه في صفِّ الجهاد كما قال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[1]؛ فهؤلاء الذين صاروا صفًّا في الجهاد؛ لا شكَّ أنَّهم إذا تعوَّدوا ذلك في الصلوات الخمس سوف يكون ذلك وسيلة إلى ائتمامهم بقائدهم في صفِّ الجهاد، فلا يتقدَّمون ولا يتأخَّرون عن أوامره. كذلك شعور المسلمين بالمساواة، وتحطيم الفوارق الاجتماعية؛ لأنَّهم يجتمعون في المسجد: أغنى الناس بجنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا، فيشعر الناس بأنَّهم سواء، فتحصل بذلك الألفة؛ ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمساواة الصفوف حتى قال:" ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم" رواه مسلم[2].

---

(١) الصف: ٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٢٣) برقم (٤٣٢) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.



وترجع أهمية صلاة الجماعة وفضائلها إلى أنَّ الله يُضاعف أجر المصلِّي في جماعة إلى سبع وعشرين درجة عمَّن يُصلِّي مُنفردًا؛ لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:" صَلَاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِن صَلَاةِ الفَذِّ بسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً" رواه مسلم[١]، وقد جاء في بعض الأحاديث أنَّها تزيد عنها بخمسٍ وعشرين درجة[٢]، وجمع العلماء بين الروايتين بأنَّ ذلك يختلف باختلاف المصلِّي؛ بحسب خشوعه، وكثرة الجماعة، وكمال الصلاة، وقد يكون الجمع بينهما بأنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكرها في بداية الأمر خمسًا وعشرين، ثم ذكرها سبعًا وعشرين[٣].

كذلك يحفظ الله المصلِّي في جماعة من الشيطان؛ لحديث النبيّ صلى الله عليه وسلم:" ما مِن ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بدوٍ لا تُقامُ فيهمُ الصَّلَاةُ إلَّا قدِ استحوذَ عليْهمُ الشَّيطانُ، فعليْكم بالجماعةِ، فإنَّما يأْكلُ الذِّئبُ القاصيةَ" رواه أبو داود[٤].ويزيد الله أجر المصلِّي في جماعة كلَّما كان عدد المصلِيّن أكثر؛ لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:" وصلاةُ الرَّجلِ معَ الرَّجلِ أزْكى من صلاتِهِ وحدَهُ، وصلاةُ الرَّجلِ معَ الرَّجلينِ أزْكى من صلاتِهِ معَ الرَّجلِ، وما كانوا أَكثرَ فَهوَ أحبُّ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ" رواه النسائي[٥].أيضًا يُبرِئ الله المصلِّي من النار، ومن النفاق، وذلك لمن أدرك تكبيرة الإحرام في جماعة أربعين يومًا؛ لحديث النبيّ صلى الله عليه وسلم:" مَن صلَّى للَّهِ أربعينَ يومًا في جماعةٍ يدرِكُ التَّكبيرةَ الأولَى كُتِبَ لَه براءتانِ: براءةٌ منَ النَّارِ، وبراءةٌ منَ النِّفاقِ" رواه الترمذي[٦]. وفي الحديث دلالة واضحة على أهمية الإخلاص في الصلاة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٠) برقم (٦٥٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣١) برقم (٦٤٥) كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة وكان الأسود: «إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجد خر» وجاء أنس بن مالك: «إلى مسجد قد صلي فيه، فأذن وأقام وصلى جماعة».

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (٥/ ١٥١) .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٢) برقم (٢١٧١٠). وأبو داود في سننه (١/ ١٥٠) برقم (٥٤٧) كتاب الصلاة باب في التشديد في ترك الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٥) برقم (٩٢٢) كتاب المساجد، التشديد في ترك الجماعة. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ١٨٨) برقم (٢١٢٦٥). وأبو داود في سننه (١/ ١٥١) برقم (٥٥٤) كتاب الصلاة باب في فضل صلاة الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٤) برقم (٩١٩) كتاب المساجد، الجماعة إذا كانوا اثنين. والحديث قال عنه الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٩٨).

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٧) برقم (٢٤١) أبواب الصلاة، باب في فضل التكبيرة الأولى. والحديث قال عنه الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٩٨).



ومن الفضائل أيضًا يُعطي الله لمصلِّي الفجر والعشاء في جماعة أجر قيام الليل؛ لحديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" مَن صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَن صَلَّى الصُّبْحَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ" رواه مسلم(١)، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنَّ تحصيل أجر قيام الليل يكون بصلاتَيَ العشاء والفجر جماعة، وذهب آخرون إلى أنَّ أجر الفجر في جماعة كأجر قيام الليل، وأجر العشاء في جماعة كأجر قيام نصف الليل(٢).

وينال المسلم وهو في انتظار إقامة صلاة الجماعة أجره كما لو كان قائمًا في صلاته، بالإضافة إلى دعاء الملائكة له؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" لَا يَزَالُ العَبْدُ في صَلَاةٍ ما كانَ في مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، وَتَقُولُ المَلَائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، حتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ" رواه مسلم(٣).

قال الشاعر عن صلاة الجماعة:

عَمَّروا المسَاجدَ بالصلاةِ جماعةً ... فَهُمُ الأكارمُ بالورى الأشهادُ

(اللهُ أكبرُ) بِالأذانِ تتابعتْ ... يحلو لها بأذانِهَا التَّرْدَادُ

بشهادةِ التوحيدِ تعلو كونَنَا ... وحَياتَنَا جمعًا لها نَنقَادُ

خمسًا من الصلوات نَتْبَعُ نُورَهَا ... بفريضةٍ فيها لنا الإرشَادُ(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٤) برقم (٦٥٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.

(٢) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٧٥). كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٩) برقم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

(٤) الأبيات من قصيدة بعنوان "الصلاة" للشاعر صبري الصبري. ينظر موقع الفصيح على الشبكة: http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=45172.



١٦ رمضان

الإفطار أحكامه وآدابه

يُسنُّ للصائم تعجيل الفطر، إذا تحقق غروب الشمس؛ فعن سهل بن سعد- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما عَجَّلوا الفِطرَ" رواه البخاري(١)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لَا يَزَالُ الدِّينُ ظاهِرًا ماعَجَّلَ الناسُ الفِطْرَ، إنَّ اليهودَ والنصارَى يُؤَخِّرُونَ" رواه أبو داود(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:" وهذا نص في أنَّ ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارى، وإذا كانت مخالفتهم سببًا لظهور الدين، فإنَّما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كلِّه، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة"(٣)، ونقل الإجماع على ذلك: ابن رشد(٤)، وابن دقيق العيد(٥)، وابن مفلح(٦)، والمرداوي(٧).

وأخبرت عائشة- رضي الله عنها- أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يُعجِّل الإفطار ويُعجِّل المغرب، فيُصلِّي المغرب في أول وقتها، ويُفطر في أول الوقت قبل أن يُصلِّي(٨)، قال المناوي- رحمه الله- في"

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٦) برقم (١٩٥٧) كتاب الصوم باب تعجيل الإفطار. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧١) برقم (١٠٩٨) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٥٠٣) برقم (٩٨١٠). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٠٥) برقم (٢٣٥٣) كتاب الصوم باب ما يستحب من تعجيل الفطر. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٢).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٠٩). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٤) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٢/ ٦٩).

(٥) ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/ ٢٦). إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: ابن دقيق العيد. الناشر: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٦) ينظر: الفروع وتصحيح الفروع (٥/ ٣٠).

(٧) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٣/ ٣٢٩).

(٨) الحديث رواه مسلم بلفظ: عن أبي عطية، قال: دخلت أنا ومسروق، على عائشة رضي الله عنها، فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كلاهما لا يألو عن الخير، أحدهما «يعجل المغرب والإفطار»، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فقالت: من يعجل المغرب والإفطار؟ قال: عبد الله، فقالت: «هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع» صحيح مسلم (٢/ ٧٧٢) برقم (١٠٩٩) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.



فيض القدير": تعجيله بعد تيقُّن الغروب من سنن المرسلين، فمن حافظ عليه تخلَّق بأخلاقهم، ولأنَّ فيه مخالفة أهل الكتاب في تأخيرهم إلى اشتباك النجوم، وفي ملَّتنا هذا شعار أهل البدع، فمَن خالفهم واتَّبع السُّنَّة لم يزل بخير، فإن أخَّر غير معتقد وجوب التأخير ولا ندبه؛ فلا خير فيه، كما قال الطيبي- رحمه الله-: إنَّ متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم هو الطريق المستقيم، ومن تعوَّج عنها فقد ارتكب المعوج من الضلال، ولو في العبادة[١]. هذا هو السُّنَّة، ويقول الله جل وعلا:" أحبُّ عبادي إليَّ أعجلُهم فطرًا" رواه الترمذي[٢]، مبادرة لما أحبَّ الله، وهكذا المبادرات والمسارعة إلى الخير والمسابقة إلى الخيرات أمر محبوب إلى الله مشروع، ويقول ﷺ:" فَصْلُ ما بيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ" رواه مسلم[٣]، فالسحور يكون في آخر الليل، والإفطار يكون في أول الليل من حين تغيب الشمس، ويقول ﷺ:" إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِن هَا هُنَا، وأَدْبَرَ النَّهَارُ مِن هَا هُنَا، وغَرَبَتِ الشَّمْسُ فقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ"رواه البخاري[٤]. يعني إذا غابت الشمس جاءت الظلمة من جهة الشرق، وذهب النور من جهة المغرب بغروب الشمس، فإذا غابت الشمس شرع الإفطار ولو بقيت الصفرة؛ لأنَّ الصفرة ما تزول إلَّا عند قرب وقت العشاء، فإذا غاب الشفق دخل وقت العشاء فهذه الصفرة التي يدخل في زوالها وقت العشاء، ما لها تعلُّق بالإفطار، الإفطار يتعلَّق بسقوط قرص الشمس، متى سقط قرصها من جهة المغرب بالنسبة إلى المشاهد فقد غابت الشمس، وهذا يختلف في البلاد فهي تغيب عن الشرقيين قبل مغيبها عن الغربيين، وتختلف المسافات على حسب البعد الشرقي والغربي، فتغيب عنَّا قبل أن تغيب عمَّن كان خلفنا من جهة المغرب، وهكذا تغيب عن مكة قبل مصر، وعلى مصر قبل تونس وأشباهها، وهكذا، والطلوع كذلك؛ تطلع علينا قبلهم، تطلع على الشرق قبل الغرب، سبحان الذي يُسيِّرها ويُدبِّرها ويُجريها جل وعلا.

---

(١) فيض القدير (٦/ ٤٥٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ١٨٢) برقم (٧٢٤١). والترمذي في جامعه (٣/ ٧٤) برقم (٧٠٠) أبواب الصوم باب ما جاء في تعجيل الإفطار. والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٠) برقم (١٠٩٦) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٦) برقم (١٩٥٤) كتاب الصوم باب متى يحل فطر الصائم.

والفطر بغلبة الظن يجوز إذا غلب على ظنه أنَّ الشمس قد غربت، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والشافعية[٣]، والحنابلة[٤]، فعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما- قالت:" أفطرنا على عهد النبي ﷺ يومَ غيمٍ ثم طَلَعتِ الشَّمسُ" رواه البخاري[٥].

وجه الدلالة: أنَّ الصحابة أفطروا بناء على اجتهاد منهم؛ حيث غلب على ظنهِم أنَّ الشمس قد غربت وكانوا في يوم غيم، مع أنَّها في نفس الأمرِ لم تغرب ولم ينكر عليهم ما فعلوه من العمل بالظن الغالب. ثانيًا: أنَّه لا يوجد يقين أزال ذلك الظن الذي بنى عليه، فأشبه ما لو صلَّى بالاجتهاد، ثم شكَّ في الإصابة بعد صلاته. ويُسنُّ أن يُقال عند الإفطار:" ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله"؛ فعن ابنِ عمر- رضي الله عنهما- قال:"كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أفطَرَ قال: ذهَبَ الظَّمأُ، وابتلَّتِ العُروقُ، وثَبَتَ الأجرُ إن شاءَ اللهُ" رواه أبو داود[٦].

ومن آداب الإفطار التي ينبغي للصائم أن يتأسَّى بنبيِّه ﷺ فيها: الإفطار قبل صلاة المغرب، وهذا إشارة إلى كمال المبالغة في استحباب تعجيل الإفطار والمبادرة به.

ومن ذلك الإفطار على رطب، فإن لم يتيسَّر أفطرَ على تمرٍ، فإن لم يتيسَّر فعلى ماء، والاقتصار على الرطب والماء عند الإفطار له فائدة طبية، وهي ورود الغذاء إلى المعدة بالتدرُّج؛ حتَّى تتهيَّأ للطعام

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ١٠٦).

(٢) ينظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٣٠٥). لكن قال القاضي عبد الوهاب: "ومن غلب ظنه غروب الشمس فأفطر أو بقاء الليل فتسحر ثم بان له أنه أكل نهارًا فليس بصائم وعليه القضاء في الفرض خلاف النذر المعين" المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٤٧٢). الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) ذكر الماوردي ثلاثة حالات لهذه المسألة، ينظر: الحاوي الكبير (٣/ ٤١٥). وينظر أيضًا: كفاية النبيه في شرح التنبيه (٦/ ٣٢٧). كفاية النبيه في شرح التنبيه، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (المتوفى: ٧١٠هـ)، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، م ٢٠٠٩.

(٤) ينظر: شرح منتهى الإرادات = دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (١/ ٤٨٩). دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٧) برقم (١٩٥٤) كتاب الصوم باب إذا أفطر في رمضان ثم طلعت الشمس.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٠٦) برقم (٢٣٥٧) كتاب الصوم باب القول عند الإفطار. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٩).



بعد ذلك، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:"كان رسول الله ﷺ يُفطر على رُطَبَاتٍ قبل أن يُصلِّي، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسواتٍ من ماء"؛ رواه أبو داود(١).

وقد سُئل الشيخ ابن باز- رحمه الله-: أيُّهما أفضل على الإفطار الرطب أم التمر؟ فأجاب فضيلته: ما تيسَّر، الرطب، إن كان رطب أفضل، ثم التمر، ثم الماء، وإن أفطر بالخبز أو غيره لا بأس لقوله ﷺ:" فليُفطر على تمرٍ فإنَّه بركة، فإن لم يجد فليُفطر على ماء؛ فإنَّه طهور" أخرجه الترمذي، وقال أنس:"كان النبي ﷺ يفطر على رطبات، فإن لم يجد أفطر على تمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من ماء" رواه أبو داود(٢).

قال ابن القيم- رحمه الله تعالى-: وفي فطر النبي ﷺ من الصوم على الرطب، أو على التمر أو الماء؛ تدبير لطيف جدًّا، فإنَّ الصوم يُخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء، والحلو أسرع شيءٍ وصولًا إلى الكبد وأحبُّه إليها، ولا سيما إن كان رطبًا، فيشتدُّ قبولها له، فتنتفع به هي والقوى، فإن لم يكن فالتمر؛ لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن فحسوات من الماء تُطفئ لهيب المعدة وحرارة الصوم، فتنتبه بعده للطعام، وتأخذه بشهوة(٣).

ولا تنبغي المبالغة في تقديم صنوف الأطعمة وأنواع الأشربة عند الإفطار، فإنَّ هذا خلاف سُنَّة المصطفى ﷺ، وهو يشغل عن المبادرة لحضور صلاة المغرب مع الجماعة؛ بل قد يفوتها معهم بالكلية؛ لقلة وقت الانتظار فيها، قال ابن العربي: كان النبي ﷺ يُفطِر قبل أن يُصلِّي على شيء يسير لا يشغله عن الصلاة، وفيه ثلاث فوائد: تعجيل الإفطار، وتفريغ البال للصلاة، وفصْل ما بين زمان العبادة والعبادة وبينهما في أنفسهما(٤)، ولا ينبغي للصائم الإسرافُ في طعام العشاء في رمضان، والإكثار من الأكل، فإنَّ رمضان فرصة موسم طاعة وعبادة، لا موسم للموائد وتنويع المأكولات.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١١٠) برقم (١٢٦٧٦). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٠٦) برقم (٢٣٥٦) كتاب الصوم باب ما يفطر عليه. والترمذي في جامعه (٣/ ٧٠) برقم (٦٩٦) أبواب الصوم باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٤٥).

(٢) ينظر: موقع الشيخ عليه رحمة الله:
https://binbaz.org.sa/fatwas/22805/%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%B7%D8%A7%D8%B1-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%BA%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%A7%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٨٧).

(٤) ينظر: عارضة الأحوذي (٣/ ٢١٥). عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للإمام الحافظ ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

ختامًا: إذا كان الصائم قد ترك في نهار الصيام جميع مألوفاته التي اعتادها؛ احتسابًا لله تعالى، ووفاء بأمانة الصوم الذي أضافه الله إليه، ممَّا يدل على قوة إرادته وصدق عزيمته؛ فحريٌّ به أن لا يفعل عند الإفطار ما يخلُّ بهذه القوة أو يُوهنها، فيُفطر على ما حرَّم الله، فيهدم في ليله ما بناه في نهاره، فيضيع الحزم، ويُبرهن على ضعف إرادته، وقلَّة صبره.



١٧ رمضان

غزوة بدر الكبرى

تُعدُّ غزوة بدر الكبرى- وتُسمَّى غزوة الفرقان- أولى الغزوات التي حدثت بين جيش المسلمين وجيش الكفار، بعد بعثة الرسول الكريم محمد ﷺ وحمله رسالة الإسلام، وكانت أولى الأدلَّة على قوة الإسلام والمسلمين وقدرتهم على تحدِّي جيوش الكفَّار.

فقد كان القتال ممنوعًا على المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، ومنهاجهم الإعراض عن المشركين، فنزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[1]، ثم تغيَّر الوضع إلى السماح بقتالهم.

وفي اليوم السابع بعد العاشر من رمضان خلال السنة الثانية من الهجرة، بالقرب من آبار بدر بين المدينة المنوَّرة ومكَّة، سمع رسول الله ﷺ باقتراب قافلة قريش العائدة من الشام ويرأسها أبو سفيان، فقرَّر مهاجمتها إذ إنَّ هذه القافلة كانت مُحمَّلة بأموالٍ لقريش، وخرج مع ثلاثمئة وبضعة عشر رجلًا، وكان معهم من البعير والخيل سبعون بعيرًا وفَرَسَانِ؛ فالأوَّل للزبير بن العوَّام، والثاني للمقداد بن الأسود، آخذين بعين الاعتبار أنَّ ذلك سيكون ضربة لاقتصاد قريش؛ حيث لم يكن يحمي القافلة سوى أربعين رجلًا، أو نحو ذلك.

فبعد خروج المسلمين للنجاة بدينهم إلى المدينة المنورة، وقد تركوا أبناءهم وأموالهم وكلَّ ما لهم بمكَّة؛ وجدت قريش ذلك فرصة للاستيلاء على ممتلكات المسلمين وكسر شوكتهم، وتعدَّتْ على ما للمسلمين بالنهب والسرقة والإتلاف، بالإضافة إلى محاولاتهم المستمرة لاغتيال الرسول الكريم ﷺ، وعليه شعر المسلمون بأنَّ حقوقهم تُسلَب، وبأنَّ قريشًا قد تمادت بأفعالها، ووجب أن يتمَّ وضْع الحدِّ لها، فبدأ المسلمون بالتفكير لاسترداد ما أُخِذ منهم، وإثبات أنَّ المسلمين ليسوا بالضعفاء العاجزين عن أخذ حقوقهم، بل هم أقوياء ولهم من القوة والمنعة ما يُمكِّنُهم من المواجهة بكل ضراوة وبسالة؛ فنزل الدعم والمدد والتوجيه من الله تعالى والتوفيق حيث قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2]؛ فتجهَّز المسلمون بالعدَّة والعتاد لمواجهة المشركين،

---

(١) الحج: ٣٩..

(٢) الأنفال: ٦٠.



وبذْل ما لديهم في سبيل الله، وجهَّزوا السرايا والغزوات، واستمرُّوا في محاولاتهم في ردِّ حقوق المظلومين، والاستيلاء على أيٍّ من قوافل المشركين.

فأوشكت قافلة ضخمة بقيادة أبي سفيان من الوقوع بأيديهم، إلَّا أنَّها أفلتت في طريق ذهابها إلى الشام، وكانت القافلة مُحمَّلة بالكثير من الخير وصلت إلى ألف بعير، وقيل إنَّ كل قريش شاركت فيها، فتربَّص لها المسلمون في طريق عودتها.

بعد ما علم المسلمون بعودة قافلة المشركين بقيادة أبي سفيان؛ أمر الرسول ﷺ بالخروج لملاقاتها وقطع الطريق عليها حتَّى لا يتمكَّن أبو سفيان بالنجاة بها كما حصل في طريق ذهابها، فخرج الرسول ﷺ ومعه بعض الصحابة ممَّن كانوا على درجة من الاستعداد للخروج، وتخلَّف الكثير من الصحابة ظنًّا منهم بأنَّ الخروج سيكون لملاقاة القافلة فقط، وسمع أبو سفيان بخروج المسلمين للسيطرة على القافلة، فاتَّخذ كافة التدابير وغيَّر طريق القافلة ونجا بها، لكنَّ المشركين لم يقفوا عند هذا الحد، بل أصروا على الخروج والنيل من المسلمين لكسر شوكتهم، وردِّ اعتبار قريش بين القبائل، وفعلًا تجهَّز المشركون بألف من المقاتلين وخرجوا للقاء المسلمين، فسمع الرسول الكريم ﷺ باستعداد قريش للقتال والثأر من المسلمين، فاستشار المسلمين من مهاجرين وأنصار في هذه المواجهة، فلقد عقد النبي ﷺ مجلسًا للشورى مع صحابته الكرام ليستشيرهم بالخروج لاعتراض عير أبي سفيان، فقام أبو بكر- رضي الله عنه- موافقًا ومؤيِّدًا ذلك، وقام بعده عمر بن الخطاب والمقداد بن عمرو- رضي الله عنهما- مُؤَكِّدين على الموافقة، حتى قال المقداد بن عمرو:" يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ"، ولا زال النبي ﷺ يستشيرهم حتى قام سعد بن معاذ- رضي الله عنه- وقال:" لكأنَّك تريدنا يا رسول الله؟ فَوالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ"، وعندئذٍ قام ﷺ مُبشِّرًا أصحابه ورافعًا لعزائمهم، ولكونه ﷺ القائد الأعلى للجيش الإسلامي؛ فقد اهتم بالاستعداد للمواجهة، وذلك بتنظيم الجيش، وإرسال العيون؛ لاستطلاع الأخبار، ثم توزيع المهام على أصحابه، وبعد التجهُّز والاستعداد من قِبل كلٍّ من المسلمين والمشركين؛ تمَّ اللقاء في بدر وهي منطقة تقع بالمنتصف ما بين مكَّة والمدينة، وكانت منطقة مليئة بالآبار، حيث عمل المسلمون عند وصولهم إلى الشرب منها، وأخْذ حاجتهم وملئها بالحجارة؛ حتى تكون ضربة للمشركين العطشى وإضعافًا لهم،



وبدأت المعركة بخروج كبار قادة المشركين ومباشرتهم القتال، وكان من بينهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وقابلهم من المهاجرين الحارث بن عبد المطلب، وحمزة وعليٌّ، والتحم القتال والجيشان، وأنزل الله تعالى مددًا من عنده؛ ملائكة تقاتل في صف المسلمين وتؤازرهم؛ فانتصر المسلمون على المشركين نصرًا مؤزّرًا، وغنموا الكثير منهم، وألحقوا بهم الكثير من القتل والأسر، حيث قُتِل حوالي ٧٠ من المشركين، كان من أبرزهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، ووقع في الأسر كثيرٌ منهم[١]. انتهت غزوة بدر بانتصار ساحق لجيش المسلمين على جيش الكفار، بالرغم من قلة العدد والعدة، ونجم عن الغزوة العديد من النتائج؛ من أبرزها:

قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا ذات هيبة في المدينة وما جاورها من القبائل، وأصبح يُحسَب لهم الكثير قبل التفكير في التعدِّي عليهم حتى لا يصيبه ما أصاب قريش.

نزول الحزن والهمّ والضعف على قلب المشركين لما أصابهم في بدر من قتل وأسر وجراح، والفقد الكبير الذي طال قادتهم وكبار مسؤوليهم.

كان لنصر المسلمين الدور في كشف المنافقين واليهود والمشركين وما يكمن في دواخلهم.

ختامًا: غزوة بدر سُمِّيتْ بذلك نسبة للمكان الذي حصلت فيه، وعدد المسلمين فيها كان ٣١٤ تقريبًا، أمَّا عدد المشركين فكان ١٠٠٠ تقريبًا، وكان الصحابي حارثة بن سراقة- رضي الله عنه- أول من استشهد في المعركة، أمَّا صاحب لواء المعركة فهو مصعب بن عمير- رضي الله عنه-.

قال حسان بن ثابت- رضي الله عنه-:

لَقَدْ عَلِمَت قُرَيشٌ يَومَ بَدرٍ ... بِأَنَّا غَداةُ الأَسرِ وَالقَتلِ الشَديدِ

حينَ تَشتَجِرُ العَوالي ... حُماةُ الرَوعِ يَومَ أَبي الوَليدِ

قَتَلنا اِبنَي رَبيعَةَ يَومَ ساروا ... إِلَينا في مُضاعَفَةِ الحَديدِ

وَفَرَّ بِها حَكيمٌ يَومَ جالَت ... بَنو النَجّارِ تَخطِرُ كَالأُسودِ

وَوَلَّت عِندَ ذاكَ جُموعُ فِهرٍ ... وَأَسلَمَها الحُوَيرِثُ مِن بَعيدِ[٢]

(١) ينظر لهذه الغزوة: سيرة ابن هشام (١/ ٦٠٦). السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٩).



١٨ رمضان

استشعار المسلم من الصوم حال إخوانه الفقراء

لم يفرض الله تعالى علينا الصيام في شهر رمضان من أجل أن نجوع ونعطش ونتعب، وإنَّما هناك مقاصد وأهداف وحكم كثيرة لهذه العبادة، ولا تدرك عقولنا المحدودة إلا بعض هذه المقاصد والأهداف والحكم:

ومنها: تذكُّر المحرومين ومواساتهم: فيه تجربةً لمقاساة الحرمان والجوع، وتذكُّر الفقراء الذين يقاسون الحرمان أبد الدهر، فيتذكَّر العبد إخوانه الفقراء، وكيف أنَّهم يُعانون الأمَرَّينِ من الجوع والعطش.

قال العلامَّة ابن الهمام عن الصائم: إنَّه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات؛ ذكر من هذا حاله في عموم الأوقات، فتسارع الرقة عليه[1]، ومن تدبَّر ذلك هيَّأ قلبه لمواساة الفقراء بالمال والإطعام والتصدُّق والبذْل والجود والإحسان؛ لأنَّهم إخوانه المؤمنون، وهذا من أعظم التكافل الاجتماعي، والذي يجعل العبد يشعر بشعور معاناة أخيه الفقير ومعدوم المال.

وقد ذكر الإمام ابن رجب الحنبلي- رحمه الله- في كتابه لطائف المعارف عن بعض السلف أنَّه سُئل: لمَ شُرِع الصيام؟ فقال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع[2].

ورحم الله الإمام القسطلاني- رحمه الله- حين كتب: وإنَّما يجد ذوق التعب مَن نازلَه، ويعرف قدر الضرر مَن واصلَه ، وفي مثل ذلك قيل:

لا يعرف الشوقَ إلَّا مَن يُكابدُهُ ... ولا الصبابةَ إلَّا مَن يُعانيها[3]

فما أجمل مقصد الشارع الحكيم في مشروعية الصوم، ولا ريب أنَّه يُسبِّب تآلف أرواح الصائمين، وليس شيء أقوى من هذه الإرادة المتينة، فأين نحن إذًا من شعورنا بمعاناة إخوانٍ لنا فراشهم الأرض، ولحافهم السماء، وأكلهم ضئيل، وزادهم أقل من القليل، أفلا يليق بنا أن نشعر بمعاناتهم، ونكون ممن يواسيهم، خاصة أنَّ العلماء ذكروا أنَّ من أسماء هذا الشهر: شهر المواساة؛ حيث يُواسي فيه الأغنياءُ إخوانَهم الفقراء والمعدمين.

---

(١) شرح فتح القدير (٢/ ٣٠١). شرح فتح القدير، المؤلف : كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي . سنة الوفاة ٦٨١هـ، الناشر : دار الفكر، مكان النشر : بيروت.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٦٨).

(٣) مدارك المرام (ص ٧٤). مدارك المرام في مسالك الصيام للمحدث الحافظ قطب الدين القسطلاني (المتوفى: ٦٨٦هـ).



ونتأسَّى برسول الهدى ﷺ حيث إنَّه كما ذكر ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال:" كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان" أخرجه البخاري ومسلم[١].

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- عن قوله: كثير من المسلمين يُردِّدون هذه العبارة: نصوم حتى نشعر بالفقراء. فهل هناك دليل من الكتاب أو السُّنَّة على ذلك؟ فأجاب فضيلته: لا يشرع الله شيئًا إلَّا لحكمة، سواء علمها الناس، أم خفيت عليهم، أم علموا بعضها، وخفي عليهم بعضها، فلله الحكمة البالغة التي لا تدركها الأفهام، ولا تبلغها العقول، وقد ذكر الله تعالى الحكمة من مشروعية الصيام وفرضِه علينا في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[٢]، وقد ذكر بعض أهل العلم: أنَّ من جملة مسائل التقوى التي يحضُّ عليها الصيام: أن يشعر الغني بحال الفقير، وكيف أنَّه يعاني الجوع والحاجة، فيدعوه ذلك إلى الإحسان إليه ودفْع حاجة أخيه، وهذا من جملة التقوى[٣].

وقال الشيخ: التقوى اسم جامع لفعل ما أمر الله به، وترْك جميع ما نهى عنه، لأنَّها مشتقة من الوقاية، وهي أن يتَّخذ الإنسان وقاية له من عذاب الله، ولا وقاية من عذاب الله إلَّا بفعل أوامره واجتناب نواهيه[٤]، وليس هناك نصٌّ في القرآن الكريم، أو السُّنَّة النَّبويَّة: يدلُّ بخصوصه على أنَّ الله تعالى فرض علينا الصيام من أجل الإحساس بالفقير، ولكن من ذكر ذلك من أهل العلم: بناه على

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٦) بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٣) برقم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

(٢) البقرة: ١٨٣.

(٣) لم أقف عليه من كلام الشيخ ابن عثيمين عليه رحمة الله، لكن ينظر موقع الإسلام سؤال وجواب:
https://islamqa.info/ar/answers/232635/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D9%88%D8%B1-%D8%A8%D8%AD%D8%A7%D8%AC%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%82%D9%8A%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87-%D9%85%D9%86-%D8%AC%D9%85%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%88%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%B4%D8%B1%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D9%85-%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B5%D9%8A%D9%84%D9%87%D8%A7.

(٤) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (١٢/ ٢). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).



أنَّ هذا داخلٌ في عموم التقوى التي نصَّ القرآن الكريم على أنَّها الحكمة من الصيام، ورأى أنَّ ذلك مناسبٌ لحال الصائم، ولِما عُرِف من الشرع من الندب إلى المواساة، والتوادِّ والتراحُم بين المؤمنين.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره: ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(١)]، فإنَّ الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأنَّ فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فممَّا اشتمل عليه من التقوى: أنَّ الصائم يترك ما حرَّم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، مُتقرِّبًا بذلك إلى الله، راجيًا بتركها ثوابه، فهذا من التقوى، ومنها: أنَّ الصائم يُدرِّب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أنَّ الصيام يُضيِّق مجاري الشيطان، فإنَّه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف نفوذه، وتقلُّ منه المعاصي، ومنها: أنَّ الصائم في الغال، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أنَّ الغني إذا ذاق ألم الجوع؛ أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدَمين، وهذا من خصال التقوى[(٢)].

وقال الشيخ محمد المختار الشنقيطي- حفظه الله-: في الصيام خير كثير، فإنَّه يُذكِّر الأغنياء بالفقراء والمحتاجين، فإنَّ الإنسان إذا جاع وعطش مع قدرته أو علمه أنَّه في آخر النهار سيجد الطعام وسيجد الشراب، سيتذكَّر الفقيرَ الذي لا يجد طعامًا ولا شرابا، ولذلك قالوا: إنَّ هذا الصيام فيه مصلحة عظيمة للإنسان من جهةِ تَذكُّرِه للضعفاء، وخاصَّة إذا كان من الأغنياء والأثرياء؛ فإنَّ الغني ربما ينسى إخوانه من الضعفاء والفقراء بسبب ما فيه من الغنى، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[(٣)]؛ فالإنسان إذا استغنى أصابه الطغيان، ولكن إذا جاع كما يجوع الفقير، وظمئ كما يظمأ الفقير؛ دعاه ذلك إلى أن يتذكَّر هؤلاء الضعفاء فيعطف عليهم[(٤)]؛ فنحن نصوم عبادة لله تعالى، وطاعة لله ولرسوله ﷺ؛ لنُحصِّل تقوى الله في قلوبنا، والتي تكون بها سعادة الدارين، ومن جملة التقوى الشعور بحال الفقير، الذي يبعث على الإحسان إليه.

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

(٣) العلق: ٦-٧.

(٤) شرح زاد المستقنع للشنقيطي (١٠٠/ ٧، بترقيم الشاملة آليا). شرح زاد المستقنع، المؤلف : محمد بن محمد المختار الشنقيطي، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٤١٧ درسا].

ولهذا استحب العلماء تفطير الصائمين المساكين خصوصًا، والمسلمين الموسرين عمومًا لإطعامهم، عن أم عمارة بنت كعب الأنصارية- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ دخل عليها فدعت له بطعام فقال لها: كلي، فقالت: إِنِّي صائمة، فقال ﷺ:" إِنَّ الصائمَ تُصَلِّي عليه الملائكةُ إذا أُكِلَ عندَه حتى يَفْرُغُوا، ورُبَّما قال حتى يَشْبَعوا"، رواه الترمذي(١).

والمراد أنَّ من بيده شيئًا من المال الفائض؛ فليُقدِّم شيئًا منه لإخوانه الذين لا يجدون ما يأكلون وما يطعمون، وإنَّ من خير التصدُّق؛ التصدُّق في شهر الصوم، حيث يُضاعِف الله فيه الدرجات، ويزيد الحسنات، ومن هذا المنطلق فإنَّ أهل العلم كانوا يستحبُّون استحبابًا كبيرًا التصدُّق في هذا الشهر، قال الإمام الشافعي: أحبُّ للرجل الزيادة بالجود في رمضان، اقتداءً برسول الله ﷺ ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغُل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم(٢).

قال ابن عثيمين- رحمه الله-: فإنَّ الفقراء يعجزون عن الأكل والشرب والنكاح، فيتذكَّر حال إخوانه فيعطف عليهم ويرحمهم(٣).

وكثيرٌ من الناس في زماننا هذا- ولله الحمد- لا يجدون صعوبة في الأكل والشرب؛ لأنَّه مُيسَّرٌ؛ لكن يجدون صعوبة في النكاح، فإذا صام الإنسان وامتنع عن إتيان أهله تذكَّر حال الشباب الذين يحتاجون إلى نكاح، فعطف عليهم، وأعانهم وساعدهم؛ لأنَّ الشيء لا تُعرَفُ فائدته إلَّا بضده، إذا وُجد الضدُّ عرف قدر النعمة، أمَّا إذا كان دائمًا في نعمة؛ فإنَّه لا يعرف قدرها. قال الشاعر:

إنَّ الصيامَ مواساةٌ وإحسانٌ ... قَضَى بذلك قرآنٌ وبُرهانُ
نِعَمَ الصيامُ مع المعروفِ تَبذلُهُ ... وليسَ فيه معَ الحرمانِ حِرمَانُ(٤)

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ١٤٤) برقم (٧٨٥) أبواب الصوم باب ما جاء في فضل الصائم إذا أكل عنده. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٩).

(٢) ينظر: مختصر المزني (٨/ ١٥٦). مختصر المزني (مطبوع ملحقا بالأم للشافعي)، المؤلف: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: ٢٦٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٣) جلسات رمضانية للعثيمين (٨/ ٨). جلسات رمضانية ١٤١٠ هـ - ١٤١٥ هـ، المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٢٣ درسا].

(٤) لم أقف على قائل هذين البيتين. وينظر موقع إمام المسجد على الشبكة: https://alimam.ws/ref/1881..

١٩ رمضان

غزوة فتح مكَّة – حرسها الله–

أراد الله سبحانه وتعالى أن يدخل الرسول ﷺ والمؤمنون مكَّة فاتحين لها، ومُطهِّرين لها من الأوثان، مُعيدين إليها مكانتها الأولى في الأمن والطهارة، وذلك في العشرين من رمضان سنة ثمانٍ للهجرة بعد أن عايش المسلمون ظلم قريش، وعداءهم للإسلام وأهله، وترسُّخ الدين في قلوبهم، ويُسمَّى فتح مكَّة أيضًا بالفتح الأعظم، والفتح المبين.

وكان صلح الحديبية السبب المباشر في فتح مكَّة؛ فبعد أن تعاهد الرسول ﷺ مع قريش في ذلك الصلح على حرية انحياز الأفراد والجماعات إلى الطرف المختار، والدخول في دينه ومعتقده، فمن أراد أن يدخل في حِلف الرسول صلى الله عليه وسلم فله ذلك، ومن أراد أن يدخل في حِلف قريش دخل فيه، وأنَّ أي اعتداء على أي قبيلة متحالفة مع أحد الطرفين يُعتبَر اعتداء على الطرف نفسه، فانحازت بنو بكر إلى قريش، وانحازت بنو خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعَّم هذا الصلح الأمن بين القبيلتين المتحاربتين في الجاهلية، إلَّا أنه لم يدم طويلًا؛ ففي العام الثامن للهجرة وفي شهر شعبان بالتحديد؛ دبَّرت بنو بكر مع قريش مكيدة، وخطَّطوا للتآمُر على بني خزاعة في مكَّة؛ ظنًّا منهم بأنَّ الأخبار لن تصل إلى الرسول ﷺ في المدينة؛ لبُعده عنهم، وانتهزوا فرصة انشغال المسلمين بأمر الدعوة وإرسال السرايا، فأغار بنو بكر على بني خزاعة ليلًا بعد أن أمدَّتهم قريش بالسلاح، وقتلوا منهم ثلاثةً وعشرين شخصًا، أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ، وذلك بالقُرب من بئر الوتر، فهربوا إلى الحرم، ولم تأخذ بنو بكر بحرمة البيت، واستغلُّوا فرصتهم، وأخذوا بثأرهم.

كان هذا الاعتداء انتهاكًا لبنود صلح الحديبية واعتداءً مباشرًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين، فتوجَّه قوم خزاعة بعد ذلك إلى دار بديل بن ورقاء لاجئين إليه، ومستجيرين به، وفي هذه الأثناء كان عمرو بن سالم قد ذهب إلى الرسول ﷺ في المدينة يخبره بما حدث مُنشِدًا أبياتًا من الشعر يَصف فيها الوضع الذي حصل لهم من القتل، ومُذكِّرًا بالعهد مع رسول الله ﷺ ، فأجابه رسول الله ﷺ:" نُصِرتَ يا عمرو بنَ سالمٍ".

بعد ذلك أرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ليفاوضه، وليطلب منه مدَّ الهدنة والصلح الذي عُقِد في الحديبية، لكنَّه عاد بخُفَّي حُنينٍ؛ فلم يستجب له رسول الله ﷺ، ولقي أبو سفيان بن حرب في المدينة أشدَّ ما يلاقيه المرء من المذلَّة، فقد ذهب إلى أبي بكر– رضي



الله عنه- يتوسَّط له عند النبي ﷺ فأبى، فذهب إلى عمر- رضي الله عنه- فأبى، وكذلك عثمان- رضي الله عنه-، فذهب إلى عليٍّ- رضي الله عنه- فأبى، فاستجار بفاطمة الزهراء- رضي الله عنها- فأبت، فرأى الحسن- رضي الله عنه- يلعب فقال: ابنُك هذا يُجيرني. فأبت ذلك، فتوجَّه إلى ابنته أمِّ المؤمنين أمِّ حبيبة- رضي الله عنها- زوج رسول الله ﷺ فأبت، وعاملتْه كما يجب أن يُعامَل الكافر، ولم تدفعها قرابته لها من محاباته والتوسُّط له عند رسول الله ﷺ.

بدأ الجيش الإسلامي بالتحرُّك مُتوجِّهًا إلى مكة، وكان النبي ﷺ قد استخلف على المدينة الصحابي أبا ذر الغفاري- رضي الله عنه-، وفي الطريق حينما وصل الرسول ﷺ منطقة الجحفة، لَقي عمَّه العبَّاس بن عبد المطلب- رضي الله عنه- ومعه أهله مسلمون، ولما وصل النبي ﷺ إلى منطقة الأبواء لقي أبا سفيان وأعرض عنه الرسول ﷺ، فنصح عليُّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- أبا سفيان أن يدخل على الرسول ﷺ كما دخل إخوة يوسف على يوسف فقالوا له:" تَاللَّهِ لَقَد آثَرَكَ اللَّهُ عَلَينا وَإِن كُنّا لَخاطِئينَ"، ففعل أبو سفيان، وردَّ عليه النبي ﷺ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]، وظلَّ الجيش يسير إلى أن وصل إلى منطقة فيها عين ماء تسمى (الكديد)، أفطر عندها الرسول ﷺ والصحابة؛ لأنَّهم كانوا صيامًا، وأكمل الجيش سيره إلى أن نزلوا بوادي فاطمة عشاءً، وأوقدوا النيران، وعيَّنَ الرسول ﷺ عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- على الحرس. خرج العبَّاس- رضي الله عنه- على بغلة النبي ﷺ؛ ليرى أمر قريش، فوجد أبا سفيان خارجًا يتجسَّس الأخبار، فأخذه العبَّاس- رضي الله عنه- إلى معسكر المسلمين، وحينما رآهم عمر- رضي الله عنه- أراد قتْل أبي سفيان، إلَّا أنَّ العبَّاس - رضي الله عنه- أجاره، وحضر أبو سفيان إلى النبي ﷺ وأنكر عليه النبي ﷺ بقاءه على الكفر، فأسلم أبو سفيان، فقال النبي ﷺ:" مَن دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومن أغلق بابَه فهو آمِنٌ، ومن دخل المسجدَ فهو آمِنٌ" رواه أبو داود[2].

وقد انطلق أبو سفيان بعد ذلك ينادي في أهل مكة مُحذِّرًا لهم بأنَّه لا طاقة لهم بالجيش القادم مع رسول الله ﷺ، وسار رسول الله ﷺ حتى وصل إلى ذي طوى، وفيها قسَّم الجيش؛ فوضع خالد بن الوليد- رضي الله عنه- على المجنبة اليُمنى، وأمره بالدخول إلى مكَّة هو ومن معه من أسفل مكَّة إلى

---

(١) يوسف: ٩٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٦٢) برقم (٣٠٢٢) كتاب الخراج والإمارة والفيء باب ما جاء في خبر مكة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٠٢٣) وذكر قصة فتح مكة الرائعة وإسلام أبي سفيان في أكمل رواية صحيحة.



أن يُلاقوه عند الصفا، ووضع الزبير بن العوَّام- رضي الله عنه- على المجنبة اليسرى، وأمره حينما يصل إلى الحجون أن يغرس رايته ويبقى فيها، وقد دخلت كتائب المسلمين كلٌّ من وجهتها التي حدَّدها رسول الله ﷺ ، فدخل خالدٌ - رضي الله عنه- مكَّة وحصل قتال بالخندمة قُتِل فيه بعض المشركين، واستُشهد فيها عدد من الصحابة إلى أن التقوا مع النبيّ ﷺ عند الصفا، وغرس الزبير- رضي الله عنه- لواء رسول الله ﷺ في الحجون عند مسجد الفتح مُنتظِرًا إلى أن وصل إليه رسول الله ﷺ ، وكان ذلك يوم الثلاثاء في السابع عشر من شهر رمضان.

توجَّه المسلمون إلى مكَّة من الحجون مُكبِّرين حتَّى ارتجَّت مكَّة بالتكبير، وكان توجُّههم إلى البيت الحرام للقضاء على الوثنيَّة، ففي الحديث:" دَخَلَ النبيُّ ﷺ مَكَّةَ، وحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وثَلَاثُ مِئَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بعُودٍ في يَدِهِ، ويقولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[(١)]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[(٢)]" رواه البخاري[(٣)]. فكان أوَّل أمْرٍ فعله النبي ﷺ بالبيت هو الطواف به، وتحطيم الأصنام.

اجتمعت قريش عند البيت، ووقف النبيُّ ﷺ يسألهم:" يا معشرَ قريشٍ؛ ما ترَونَ أنِّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريمٍ، فقال: اذهبوا فأنتم الطُّلَقاءُ" أخرجه الطبري[(٤)].

وجاءت بعدها خطبة النبي ﷺ في الناس في الغداة، حيث ابتدأها بالحمد والثناء، ثمَّ قال:" إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ ولَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ أنْ يَسْفِكَ بهَا دَمًا، ولَا يَعْضُدَ بهَا شَجَرَةً، فإنْ أحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُولوا له: إنَّ اللَّهَ أذِنَ لِرَسولِهِ ﷺ ، ولَمْ

---

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) سبأ: ٤٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٦) برقم (٢٤٧٨) كتاب المظالم والغصب باب: هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تخرق الزقاق، فإن كسر صنما، أو صليبا، أو طنبورا، أو ما لا ينتفع بخشبه. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٠٨) برقم (١٧٨١) كتاب الجهاد والسير باب إزالة الأصنام من حول الكعبة.

(٤) ذكره بدون إسناد البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٩٩) برقم (١٨٢٧٥) كتاب السير باب فتح مكة حرسها الله تعالى قال: "وفيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد ...". قال الألباني رحمه الله:"قلت: هذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت وهو عند ابن هشام معضل وقد ضعفه الحافظ العراقي كما بينته في (تخريج فقه السيرة)" دفاع عن الحديث النبوي (ص: ٣٢). وينظر: [فقه السيرة - محمد الغزالي] تحقيق الألباني (ص: ٣٨٢). دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). فقه السيرة، المؤلف : محمد الغزالي، تحقيق : العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : دار القلم – دمشق، الطبعة : السابعة – ١٩٩٨.



يَأْذَنْ لَكُمْ، وإنَّما أُذِنَ لي سَاعَةً مِن نَهَارٍ، وقدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليومَ كَحُرْمَتِهَا بالأمْسِ، ولْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ" رواه البخاري[1]، وبعد أن طهَّر الرسول ﷺ البيت من الصور التي كانوا ينسبونها إلى إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام-، وأزال الأزلام، ثم صعد بلال بن رباح- رضي الله عنه- مُعتليًا الكعبة يُؤذِّن بالناس؛ بدأ الناس يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام[2].

وفي الختام: هناك عبر ودروس من فتح مكَّة: وأوَّل درس نتلقَّاه من غزوة الفتح أنَّ الله تعالى إذا أراد أمرًا يسَّر أسبابه؛ فقد كان صلح الحديبية مُقدِّمة الفتح، وكان غدر قريش سبيلًا لإتمامه.

وفاء أم حبيبة بنت أبي سفيان- رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ، وإيثارها له ﷺ على أبيها.

إكرامه ﷺ لأبي سفيان تمشِّيًا مع مبدأ "أكرموا عزيز قومٍ ذلَّ".

حُرمة مكَّة وأهليها وأشجارها.

جعل الله البيت الحرام قيامًا للناس، وقد دخل ﷺ الكعبة وطهَّرها من الأصنام، وصلَّى في البيت ركعتين، وطاف حول البيت، وأمر بلالًا- رضي الله عنه- أن يرقى على سطح الكعبة، وأن يُؤذِّن، وبقيت الكعبة إلى اليوم وستبقى إلى أن يهدمها ذو السويقتين؛ منارة سامية وقمة شامخة.

رمز الخلود وكعبة الإسلام   كم في الورى لك من جلالٍ سامِ[3]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٢) برقم (١٠٤) كتاب العلم باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٧) برقم (١٣٥٤) كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام.

(٢) ينظر هذا الفتح في: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٩) وما بعدها.

(٣) البيت من قصيدة للشاعر محمد سراج خراز بعنوان: "الكعبة المشرفة". ينظر موقع: https://www.al2la.com/vb/t80826.html..



٢٠ رمضان

عمرة في رمضان تعدل حجَّة

إنَّ من المعلوم من الدين بالضرورة أنَّ من أركان الإسلام حجَّ بيت الله الحرام، والعمرة هي الحج الأصغر عند جمهور أهل العلم، وللعمرة عمومًا، وفي رمضان خصوصًا؛ فضائلها العظيمة، ومكانتها الشريفة، التي بيَّنَها نبيُّ الله ﷺ، فجعلها من مُكفِّرات الذنوب، قال ﷺ:" العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُما" متفق عليه(١).

وهي تُذهب الفقر والذنوب، قال رسول اللهِ ﷺ:" تابعُوا بينَ الْحَجِّ والعُمْرَةِ، فإنَّهُما يَنفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنوبَ، كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحديدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ" رواه الترمذي(٢).

وهي أَحد الجهادين، عن عائشة قالت- رضي الله عنها-:" قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ؛ على النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قالَ: نَعَمْ، علَيْهِنَّ جِهادٌ لا قِتالَ فيهِ؛ الْحَجُّ والعُمْرَةُ" رواه ابن ماجه(٣).

وقال عمر- رضي الله عنه-:" شُدُّوا الرَّحِيلَ إلى الْحَجِّ والعُمْرَةِ، فإنَّهُ أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ" رواه البخاري تعليقًا(٤).

لذلك يسارع المسلم في شهر رمضان إلى أداء الطاعات والعبادات، والحرص على الأعمال الصالحة كلِّها، وذلك بالتوجُّه إلى بيت الله الحرام، وقصْده، والطواف بالكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، وإتمامها بالتحلُّل، قال الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾(٥).

وتكون العمرة في أيِّ وقتٍ من العام، إلَّا أنَّ أداءها في شهر رمضان أفضل من أدائها في غيره من الشهور؛ فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فإنَّ عُمْرَةً فيه تَعْدِلُ حَجَّةً" رواه مسلم(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢) برقم (١٧٧٣) أبواب العمرة باب وجوب العمرة وفضلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٤٩) كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٨٥) برقم (٣٦٦٩). والترمذي في جامعه (٣/ ١٦٦) برقم (٨١٠) أبواب الحج باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٩) برقم (٣٥٩٦) كتاب المناسك فضل العمرة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ١٩٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ١٩٨) برقم (٢٥٣٢٢). وابن ماجه في سننه (٢/ ٩٦٨) برقم (٢٩٠١) كتاب المناسك باب الحج جهاد النساء. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٧٧).

(٤) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (٢/ ١٣٣) كتاب الحج باب الحج على الرحل بلفظ: «شدوا الرحال في الحج فإنه أحد الجهادين».

(٥) البقرة: ١٩٦.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩١٧) برقم (١٢٥٦) كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان.



وللعمرة في شهر رمضان مزيتها في الإسلام، جاءَ فضْلُها وعالي رتبتها في أحاديث كثيرة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، دلَّت كلُّها على أنَّها تعدل حجَّة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:" لَمَّا رَجَعَ النبيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ، قالَ لأُمِّ سِنَانٍ الأنصاريَّةِ: ما مَنَعَكِ مِنَ الْحَجِّ، قالتْ: أبُو فُلانٍ، تَعْنِي زَوْجَها، كانَ لهُ ناضِحَانِ حَجَّ على أحَدِهِما، والآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنا، قالَ ﷺ: فإنَّ عُمْرَةً في رَمَضَانَ تَقْضِي حجة أو حَجَّةً مَعِي" رواه البخاري[١].

وعنْ أبي طَلِيقٍ قالَ:" طَلَبَتْ مِنِّي أُمُّ طَلِيقٍ جَمَلًا تَحُجُّ عليهِ، قالَ: فَأَتَيْتُ النبيَّ ﷺ قالَ: فقالتْ: أَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامُ وأَخْبِرْهُ، قُلتُ: إنَّها تُقْرِئُكَ السلامَ، وتَسأَلُكَ: ما يَعْدِلُ الحَجَّ مَعَكَ؟ قالَ: فأَقْرِئْها مِنِّي السلامَ، وأَعْلِمْها أنَّ الحَجَّ يَعْدِلُ عَمْرَةً في رمَضَانَ" رواه ابنُ أبي عاصمٍ[٢].

ولأهل العلم فيمن يُحصِّل الفضيلة المذكورة في الأحاديث؛ ثلاثة آراء: الأول: أنَّه خاص بهذه المرأة، قال سعيد بن جبير:" ولا نعلمه إلَّا لهذه المرأة وحدها" رواه أحمد بن منيع وصححه ابن حجر[٣].

الثاني: أنَّه لمن نوى الحج فَعجز عنه، ثم عوَّضه بعمرة في رمضان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: فإنَّه من المعلوم بالاضطرار أن الحجَّ التامَّ أفضل من عمرة رمضان، والواحد منَّا لو حجَّ الحجَّ المفروض لم يكن كالحجِّ معه ﷺ؛ فكيف بعمرة؟! وغاية ما يحصله الحديث: أن تكون عمرةُ أحدِنا في رمضان من الميقات بمنزلة حجَّة، وقد يقال هذا لمن كان أراد الحجَّ فعجز عنه، فيصير بنيَّة الحجِّ مع عمرة رمضان؛ كلاهما تعدل حجَّة لا أحدهما مجردًا[٤].

الثالث: أنَّ الفضل عامٌّ لكلِّ مَن اعتمر في رمضان، وليس مخصوصًا بأشخاص أو أحوال، وبهذا قال جمهور الفقهاء[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٩) برقم (١٨٦٣) كتاب جزاء الصيد باب حج النساء. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩١٧) برقم (١٢٥٦) كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ١٧٦) برقم (٢٧١٠). الآحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١.

(٣) ينظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٧/ ٩٤). المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٦/ ٢٩٣).

(٥) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢/ ١٤٤).

وليعلمْ أنَّ العمرة في رمضان لا تُجزئ عن حجَّة الفريضة، قال ابن بطالٍ: إجماع الأُمة أنَّ العمرة لا تُجزئ من حجَّة الفريضة[١].

وللعمرة فضل عظيم في تكفير الذنوب والسيئات، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله:" العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ" رواه البخاري[٢].

فيُفضَّل أداء العمرة في شهر رمضان عن غيره من الأشهر؛ إذ يُضاعَف أجر العمرة في رمضان بخلاف شهور السنة، فأجرها يعادل أجر الحجِّ إلى بيت الله الحرام، ولا يعني ذلك أنَّ العمرة في شهر رمضان تُجزئ عن الحج؛ إذ إنَّه فريضةٌ، والعمرة مشروعة بإجماع العلماء، إلَّا أنَّهم اختلفوا في حكمها التكليفي، وذهبوا في ذلك إلى قولين:

القول الأول: قال الحنفية[٣] والمالكية[٤] بأنَّ العمرة سُنَّة مُؤكَّدة؛ وقد استدلُّوا على قولهم بحديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنه-:" أنَّ النبيَّ ﷺ سُئلَ عنِ العمرة؛ أواجبة هيَ؟ قال: لا، وأنْ تعتمِروا هوَ أفضلُ" رواه الترمذي[٥].

القول الثاني: قال الشافعية[٦] والحنابلة[٧] بأنَّ العمرة واجبة؛ واستدلُّوا بقول الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[٨]، وبناء على القاعدة الأصوليَّة بأنَّ الأمر يفيد الوجوب، فإنَّ العمرة واجبة، كما عُطِفت على الحجِّ؛ ممَّا يعني تشاركهما في الحكم، إضافة إلى أنَّهم استدلُّوا بحديث أبي رزين:" قال رجلٌ من بني عامرٍ: يا رسولَ اللَّهِ؛ إنَّ أبي شيخٌ كبيرٌ؛ لَا يستطيعُ الحجَّ ولَا العمرةَ ولَا الظَّعن. قالَ: احجج عن أبيكَ واعتمرْ" رواه أبو داود[٩].

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤/ ٤٣٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢) برقم (١٧٧٣) أبواب العمرة باب وجوب العمرة وفضلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٤٩) كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٢٢٦).

(٤) ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٥٠٢).

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٢٦١) برقم (٩٣١) أبواب الحج باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا؟. والحديث ضعف إسناده الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢/ ٤٣١).

(٦) للشافعية قولان: الجديد هي فرض والقديم ليست بفرض ينظر: المجموع شرح المهذب (٧/ ٣).

(٧) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/ ٢١٨).

(٨) البقرة: ١٩٦.

(٩) رواه أبو داود في سننه (٢/ ١٦٢) برقم (١٨١٠) أبواب الحج باب الرجل يحج عن غيره. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ٣١٠).



ولم يرد أو يثبت تفضيل أول شهر رمضان، أو أوسطه، أو آخره لأداء العمرة؛ فالأفضلية واردة في عموم شهر رمضان، فقد ورد في قول النبي ﷺ:" إنَّ عُمْرَةً فيه تَعْدِلُ حَجَّةً" رواه مسلم(١)، دون تحديد وقت مُعيَّن، أو تخصيص العشر الأواخر من رمضان، إلَّا أنَّه ورد عن العلامَّة ابن باز- رحمه الله- أنَّ العمرة في الثُّلث الأخير من رمضان أفضل من باقي الشهر؛ احتجاجًا بأنَّ العشر الأخيرة أفضل الشهر(٢)، ووافقه ابن عثيمين- رحمه الله- في ذلك، وأضاف بأنَّ الحسنات تتضاعف بأفضلية المكان والزمان؛ فقصْدُ بيت الله الحرام في العشرة الأخيرة من رمضان؛ أفضل من قصْدِه في العشرة الأولى، أو الوسطى(٣).

ختامًا: العمرة في رمضان تعدل حجَّ الفريضة في الأجر، ولا تعدل عن حجَّة الإسلام، وهذه رحمة من الله لعباده إذ هيَّأ لعباده عمل أعمال بسيطة عليها أجورٌ عظيمة.

ومن فضل عمرة رمضان أيضًا أنَّها تمنح للمعتمرين صلاة جميع فروض رمضان بأطهر مكان بالكون أجمع، وهو المسجد الحرام، أيضًا تتيح لهم الصلاة جماعة مع أكبر حشد يمكنه الصلاة معه.

أتوقُ أنا لبيتِ اللهِ ... ونارُ الشوقِ أُخفيها
هي الآياتُ نتلوها ... وربُّ البيتِ حاميها
لكم أهوى زيارتَها ... وحُبِّي في فيافيها
نبيُّ الله شيَّدها ... ونادانا نُلبِّيها(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩١٧) برقم (١٢٥٦)كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان.

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٧/ ١٧٢).

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٧١).

(٤) لم أقف على قائلها.

٢١ رمضان

فضل العشر الأواخر من رمضان والاجتهاد فيها

يتكوَّن شهر رمضان من ثلاثين يومًا، كلُّه رحمة ومغفرة وعفو؛ حيث يختار الله تعالى كلَّ ليلة العتقاء من النار والفائزين بالجنة بإذن الله. فهنيئًا للفائزين! وإذا كان العلماء قد اتَّفقوا على أنَّ رمضان هو خير الشهور وأفضلها، فإنَّهم قد اتَّفقوا أيضًا على أنَّ العشر الأواخر منه هي أفضل ما فيه وأعظم لياليه؛ فهي الفضل والخير.

وتُعرَف العشر الأواخر من شهر رمضان- بحسب ما اصطلح عليه العلماء- بأنَّها: الأيام والليالي الواقعة ما بين ليلة الحادي والعشرين من رمضان إلى آخره؛ سواءً كانت عشرة كاملة أو ناقصة؛ باقتصارها على تسع، إذ العبرة بإطلاق اللفظ على الغالب والتمام، وتُطلَق العشر على الأيام مع لياليها، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[1]، وتُعَدُّ العشر الأواخر من رمضان فرصة لكلِّ مسلم للتقرُّب إلى الله وطلب العفو والمغفرة والعتق من النار، كما أنَّها فرصة لإجابة الدعاء.

ومن أفضل الأعمال في العشر الأواخر من رمضان: كثرة التهجُّد، وإحياء الليل كلِّه بما تيسَّر من صلاة، وذكْر وتسبيح، ودعاء واستغفار، وقراءة القرآن الكريم، حيث يتميَّز قيام الليل بفضله العظيم، وخاصَّة في العشر الأواخر من شهر رمضان، وقد كان النبي ﷺ يحث الصحابة على قيام الليل لما له من فضل عظيم في زيادة الحسنات، ومغفرة الذنوب والمعاصي، ورفْع الدرجات، وتطهير القلوب، ونيل منزلة عظيمة في الدنيا والآخرة.

كما يُعدُّ شهر رمضان هو أكثر شهر يُستحبُّ فيه الإكثار من تلاوة القرآن، وذلك لما له من أهمية كبيرة في مضاعفة الثواب والأجر؛ فعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتاب الله فَلَهُ حَسَنَة، والحَسَنَة بِعَشْرِ أمْثَالِها، لَا أقول: الم حَرفٌ، ولكن ألِفٌ حَرْفٌ، ولَامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ" رواه الترمذي[2].

وقد ورد في فضْل العشر الأواخر من رمضان والاجتهاد فيها أحاديث كثيرة، فعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنَّها قالت:"كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله،

---

(١) الفجر: ٢..

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠).



وأيقظ أهله" رواه البخاري[١]، وعنها أيضًا قالت:"كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره" رواه مسلم[٢].

ومِمَّا يُستفاد من الحديثين أنَّ النبي ﷺ كان يخصُّ العشر الأواخر من رمضان بأعمالٍ منها: إحياء الليل، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي- رحمه الله-: يحتمل أنَّ المراد إحياء الليل كلِّه[٣]، وكذلك كان فعل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، إذ كان يجتهد في صلاة الليل، حتَّى إذا وصل إلى نصفه أيقظ أهله، وهو يتلو على مسامعهم قول الله تعالى:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٤].

وقد رُوي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنَّه قال:" بتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً فَقَامَ النبيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كانَ في بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ النبيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِن شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا يُخَفِّفُهُ- عَمْرٌو ويُقَلِّلُهُ-، وقَامَ يُصَلِّي، فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا ممَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عن يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عن يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى ما شَاءَ اللَّهُ" رواه البخاري[٥].

كما كان السلف الصالح يجتهدون في قراءة القرآن الكريم في الأيام العشر من رمضان، إذ رُوي عن قتادة أنَّه كان يختم القرآن في ثلاثة أيام من شهر رمضان، فإذا دخلت العشر الأواخر ختمه كلَّ ليلة، كما جاء عن الأسود بن زيد أنَّه كان يختم القرآن في رمضان كلَّ ليلتين، وورد عن الشافعي أنَّه كان يختم القرآن مرتين في اليوم؛ أي ستين مرة في رمضان[٦].

أيضًا الحرص على أداء الصلاة في المساجد جماعةً، فقد ذُكر أنَّ الأعمش لم تفته تكبيرة الإحرام حتى بلغ سبعين سنة من عمره[٧].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٤) كتاب فضل ليلة القدر باب العمل في العشر الأواخر من رمضان. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٣٢) برقم (١١٧٤) كتاب الاعتكاف باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٣٢) برقم (١١٧٥) كتاب الاعتكاف باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان.

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٤).

(٤) طه: ١٣٢. والأثر رواه مالك في الموطأ (٢/ ١٦٢) برقم (٣٨٩). الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٩) برقم (١٣٨) كتاب الوضوء باب التخفيف في الوضوء.

(٦) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٢٢٢).

(٧) رواه ابن الجعد في مسنده (ص: ١٢٢) برقم (٧٥٥). مسند ابن الجعد، المؤلف: علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ – ١٩٩٠.



ومن فضل العشر الأواخر هو وجود ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان؛ ويُرجَّح أنَّها في إحدى الليالي الوترية، وهي ليلة مباركة، اختصَّها الله تعالى بخصائص عظيمة، وميَّزها بمزايا كبيرة، فهي أفضل ليلة في الوجود؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" تَحرُّوا لَيْلةَ القَدْرِ في الوتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَواخِرِ منْ رمَضَانَ" رواه البخاري[١].

وقال الله سبحانه إنَّها ليلة خير من ألف شهر. ليلة القدر هي أعظم وأشرف الليالي، قال فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[٢]؛ فليلة القدر أنزل الله فيها القرآن العظيم، فيجب على المسلمين الاجتهاد فيها بالصلاة وتلاوة القرآن، والصدقة والاستغفار، وذِكْر الله وغير ذلك من العبادات، وقالت عائشة- رضي الله عنها-:"كان النبي ﷺ يُجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقولُ: تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ" رواه البخاري[٣]، ويُجاور تعني يعتكف في العشر الأواخر من رمضان رجاء حصول هذه الليلة ليقومها ويجتهد فيها، ولا شكَّ أنَّ مَن قام الليالي العشر أدرك هذه الليلة؛ لأنَّها لا تخرج عنها، ولذلك على المسلم أن يجتهد في العشر الأواخر جميعها حتى يدركها، ويُستحبُّ الإكثار من الدعاء فيها، قالت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-: قلتُ: يا رسول الله؛ أرأيت إن علمتُ أي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال:" قولي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عفُوٌّ تُحبُّ الْعَفْوَ فاعْفُ عَنِّي"، رواه الترمذي وابن ماجه[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٦) برقم (٢٠١٧) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٢) القدر: ١-٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٠) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ٢٣٦) برقم (٢٥٣٨٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٣٤) برقم (٣٥١٣) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٤٦) برقم (٧٦٦٥) كتاب النعوت، العفو. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٦٥) برقم (٣٨٥٠) كتاب الدعاء باب الدعاء بالعفو والعافية. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٠٠٨).



وقد وصف رسول الله ﷺ صبيحة ليلة القدر" تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَومِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا" رواه مسلم[١]، وقال ﷺ:" ليلةُ القدْرِ ليلةٌ سمِحَةٌ، طَلِقَةٌ، لا حارَّةٌ ولا بارِدَةٌ، تُصبِحُ الشمسُ صبيحتَها ضَعيفةً حمْراءَ" رواه ابن خزيمة[٢].

كذلك من الأعمال المستحبَّة التي فعلها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم والصحابة؛ الاعتكاف وهو التفرُّغ الكامل للعبادة، وأفضل أوقات الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، فكان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى تُوفِّي.

وكذلك الإكثار من الصدقة والزكاة؛ إنَّ الإنفاق في سبيل الله من أفضل الأعمال في شهر رمضان المبارك، خاصَّة في العشر الأواخر منه، فذلك يُقرِّب قلوب الناس من بعضهم ويمنع الحسد، ويطهر النفوس من الشح والبخل.

ختامًا: على العبد الصادق أن يجتهد في جميع ليالي العشر ويحصل عليها يقينًا لا شكَّ فيه، وقد أخفى الله ليلة القدر رحمة بعباده؛ لأمور منها: زيادة حسناتهم إذا اجتهدوا في العبادة بأنواعها في هذه الليالي، واختبارًا لعباده؛ ليتبيَّن الصادق في طلبها من غيره؛ فإنَّ مَن حرص على شيء جدَّ في طلبه. اللهم وفِّقْنا لقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ يا ذا الجلال والإكرام، اللهمَّ إنَّك عفوٌّ تُحبُّ العفو فاعفُ عنَّا.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٢٥) برقم (٧٦٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٣٣٠) برقم (٢١٩٠) كتاب الصيام باب صفة ليلة القدر بنفي الحر والبرد فيها، وشدة ضوئها، ومنع خروج شياطينها منها حتى يضيء فجرها. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٩٦٢). صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٢٢ رمضان

الاعتكاف فضائل وأحكام

إنَّ ممَّا ينبغي للعبد المؤمن أن يحرصَ عليه هو استثمار مواسم الخيرات والطاعات والعبادات، وإنَّ من هذه المواسم شهر رمضان المبارك الذي كلُّه خيرات وبركات، ومن بركات هذا الشهر مشروعية الاعتكاف في العشر الأواخر منه، تحرِّيًا لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ولا شكَّ أنَّ الاعتكاف شُرع لغايات وحكم عديدة، ومن أعظمها عكوف القلب على الله تعالى، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، والتفرُّغ لعبادته وذكْره وتسبيحه واستغفاره، وقراءة كلامه جل وعلا.

مفهوم الاعتكاف لغة: لزوم الشيء والإقبال وحبْس النفس عليه[(١)]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾[(٣)].

والاعتكاف شرعًا: لزوم المسلم المميِّز مسجدًا لطاعة الله تعالى[(٤)]، وقيل: هو الإقامة في المسجد بنيَّة التقرُّب إلى الله عز وجل ساعةً فما فوقها ليلًا أو نهارًا[(٥)].

والاعتكاف سُنَّة من السنن، ومُستحبٌّ من المستحبَّات، وقُربة من القُربات التي داوم عليها النبي ﷺ حتى توفَّاه الله جل وعلا، وهو ثابت في الكتاب والسُنَّة الصحيحة والإجماع.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[(٦)]، بمعنى: أنْ طهِّرا بيتي من كلِّ رجسٍ ودنسٍ للمُتعبِّدين فيه بالطواف حول الكعبة، أو الاعتكاف في المسجد، والصلاة فيه.

---

(١) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص: ١٩٤). المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) الأعراف: ١٣٨.

(٣) البقرة: ١٨٧.

(٤) ينظر: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٦٧). الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: مجموعة من المؤلفين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة الطبع : ١٤٢٤هـ.

(٥) المحلى بالآثار (٣/ ٤١١).

(٦) البقرة: ١٢٥.



ولقد كان الاعتكاف مشروعًا في الشرائع السابقة، وأجمع العلماء على مشروعية الاعتكاف[(١)]، ونقل ذلك الفقهاء دون منازع أو مخالف.

وللاعتكاف شروط لا بُدَّ من تحقُّقها ليصحَّ اعتكاف المعتكف، وهي[(٢)]:

١- أن يكون المعتكف مُسلمًا عاقلًا ومُميِّزًا، فلا يصحُّ ولا يُقبَل الاعتكاف من الكافر، ولا المجنون، ولا الصبي غير المميّز، ويصحُّ الاعتكاف من الصبي المميّز وغير البالغ، والمرأة يشرع لها الاعتكاف كما يشرع للرجل، لكن بشرط ألَّا يترتَّب على اعتكافها مفسدة أو فتنة، فإن ترتَّب على ذلك مفسدة أو فتنة كضياع أولادها في بيتها، أو أن تهدر حقَّ زوجها، فليس لها أن تعتكف.

٢- أن يكون مكان الاعتكاف هو المسجد لا غيره، ولقد ورد ذكر الاعتكاف في المساجد صريحًا في كتاب ربِّنا جل وعلا؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[(٣)].

٣- أن يكون الاعتكاف في مسجدٍ تُقام فيه صلاة الجماعة، لكونها واجبة عليه، ولئلا يتكرَّر خروجه من معتكفه للصلوات المفروضة، لكونه ينافي مقصود وغاية الاعتكاف، وهو المكث في المسجد، والأولى والأفضل أن يعتكف المعتكف في مسجدٍ جامعٍ تُقام فيه صلاة الجمعة، لئلا يخرج من معتكفه لأدائها، وإن خرج لصلاة الجمعة فلا يُؤثِّر ذلك على صحة اعتكافه.

٤- النيَّة؛ لكونها شرطًا لصحَّة سائر العبادات، فيمكث المعتكف في معتكفه في المسجد قُربةً وتعبُّدًا لله جل وعلا، ويُخلِص النيَّة لله جل وعلا في اعتكافه، فالأعمال بمقاصدها، لحديث عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال:" سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: إنَّما الأعْمالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِامْرِئٍ ما

---

(١) ينظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار (١٠/ ٢٧٣). الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ٣٦٨هـ - ٤٦٣هـ، تحقيق: عبدالمعطي امين قلعجي، الناشر: دار قتيبة - دمشق | دار الوعي - حلب، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) ينظر لهذه الشروط: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ١٠٨)؛ المجموع شرح المهذب (٦/ ٤٧٦)؛ الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٥٠٢) وما بعدها.

(٣) البقرة: ١٨٧ .



نَوى، فمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ؛ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُها أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُها؛ فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ" رواه البخاري(١).

٥- الطهارة من الحدث الأكبر؛ إذ يُشترَط لصحَّة الاعتكاف الطهارة من الحدث الأكبر، لعدم جواز مكث الجنب، ولا الحائض والنفساء في المسجد، ولا يُشترَط الصوم لصحَّة الاعتكاف في المسجد، وخاصَّة في غير شهر رمضان المبارك؛ لأنَّ النبي ﷺ أذن لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أن يعتكف ليلة في المسجد الحرام، ومن المعلوم أنَّه لا صوم في الليل، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-:" أنَّ عُمَرَ قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ؛ إنِّي نَذَرْتُ في الجاهِلِيَّةِ أنْ أعْتَكِفَ لَيْلَةً في المَسْجِدِ الحَرامِ، قالَ: أوْفِ بنَذْرِكَ"رواه البخاري(٢).

وفي هذا الحديث دليلٌ على صحَّة الاعتكاف ليلًا من غير صوم، لكون النبي ﷺ لم يشترط ذلك على عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، ومن المعلوم كذلك أنَّ الصوم والاعتكاف عبادتان منفصلتان عن بعضهما، ولا يشترط لأحدهما وجود الأخرى؛ لكي يصحَّ وقوعها، ولكن إن رافق الاعتكاف صيام فهو أفضل، وإلَّا إن اعتكف المعتكف وهو مُفطِرٌ صحَّ اعتكافه.

وكان النبي ﷺ يتَّخذ مكانًا له يعتكف فيه من المسجد، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-:" أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رَمَضانَ، قالَ نافِعٌ: وَقَدْ أَرانِي عبدُ اللهِ- رَضِيَ اللَّهُ عنْه- المَكانَ الذي كانَ يَعْتَكِفُ فيه رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ المَسْجِد" رواه مسلم(٣).

ولقد داوم النبي ﷺ على الاعتكاف في كلِّ سنة، حتى توفَّاه الله جل وعلا؛ فعن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها-" أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رَمَضانَ حتى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أزْواجُهُ مِن بَعْدِهِ" رواه البخاري(٤)؛ أي: ثم اعتكف أزواج النبيِّ ﷺ مِن بعده مثل اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان؛ وذلك أنَّهنَّ كنَّ يعتكفن في بيوتهنَّ، وهو ما يُقال عليه مسجد بيتها، وهو الموضع الذي تتخذه في بيتها مُصلّى.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٨) برقم (٢٠٣٢) كتاب الاعتكاف باب: الاعتكاف ليلًا. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٧٧) برقم (١٦٥٦) كتاب الأيمان باب نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٣٠) برقم (١١٧١) كتاب الاعتكاف باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٦) كتاب الاعتكاف باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٣١) برقم (١١٧٢) كتاب الأيمان باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

وإذا نوى الاعتكاف لم يجب عليه إتمامه، وجاز له قطعه، ولا سيما إذا خشي على عمله الرياء. قال ابن باز- رحمه الله-: وله قطع ذلك إذا دعت الحاجة لذلك؛ لأنَّ الاعتكاف سُنَّة، ولا يجب الشروع إذا لم يكن منذورًا[١].

ولقد شُرع الاعتكاف لحكم وغايات كثيرة، ومنها: التقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى بالتفرُّغ لعبادته وذكْره وتسبيحه، واستغفاره وقراءة القرآن، والاعتكاف سبيلٌ لتزكية النفس وتنقية القلب، وهو عكوف القلب على طاعةِ الله تعالى، وجمْع القلب عليه، ووقْف النفس له، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، وتفريغ القلب من أمور الدنيا، والاشتغال به وحده سبحانه.

قال ابن القيم- رحمه الله- في كتابه زاد المعاد: وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه: عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيتُه عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكْره وحبُّه، والإقبال عليه في محلِّ هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلِّها، ويصير الهمُّ كلُّه به، والخطراتُ كلُّها بذكره، والتفكُّر في تحصيل مراضيه وما يُقرِّب منه، فيصير أُنسُه بالله بدلًا من أُنسِه بالخلق، فيعدُّه بذلك؛ لأنَّه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصودُ الاعتكاف الأعظم[٢].

أخيرًا: كما أنَّ الصيام درعٌ للقلب يقيه مغبَّة الصوارف الشهوانية من فضول الطعام والشراب والنكاح، كذلك الاعتكاف ينطوي على سرٍّ عظيم، وهو حماية العبد من آثار فضول الصحبة، فإنَّ الصحبة قد تزيد على حدِّ الاعتدال، فيصير شأنها شأن التخمة بالمطعومات لدى الإنسان، كما قال الشاعر:

عدوُّكَ من صديقِكَ مُستفاد ... فلا تستكثرنَّ من الصِّحابِ

فإنَّ الداءَ أكثرُ ما تراه ... يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ[٣]

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٤٤٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٨٢).

(٣) الحماسة المغربية (٢/ ١٢٥٣).



٢٣ رمضان

ليلة القدر خير من ألف شهر

من فضائل شهر رمضان وجوائزه العظام تضمُّنه لليلة القدر، وهي ليلة عظيمة القدر، ضاعف الله فيها أجر العمل الصالح لهذه الأُمَّة أضعافًا كثيرة. فقد تنزَّل القرآن في هذه الليلة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[١].

ولقد اتَّفق جمهور العلماء على فضْل ليلة القدر، كما اختار العلماء أنَّ هذه الليلة ليلة تكون في شهر رمضان، وأنَّها في العشر الأواخر منه، وأمَّا تحديدها في العشر الأواخر فمختلفٌ فيه تبعًا لاختلاف الروايات الصحيحة، والأرجح أنَّها في الليالي الوتر من العشر الأواخر، وأرجى ليلة لها هي ليلة السابع والعشرين .

وفضلها عظيم لمن أحياها، وهي ليلة عامة لجميع المسلمين، وإحياؤها يكون بالصلاة، والقرآن، والذكر، والاستغفار، والدعاء من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وصلاة التراويح في رمضان إحياء لها.

وللعلماء آراء في تعيين هذه الليلة؛ فمنهم من يرى أنَّها ليلة الحادي والعشرين، ومنهم من يرى أنَّها ليلة الثالث والعشرين، ومنهم من يرى أنَّها ليلة الخامس والعشرين، ومنهم من ذهب إلى أنَّها ليلة التاسع والعشرين، ومنهم من قال: إنَّها تنتقل في ليالي الوتر من العشر الأواخر، وأكثرهم على أنَّها ليلة السابع والعشرين[٢].

فإذا كان دخول شهر رمضان يختلف- كما نشاهد اليوم- من بلد لآخر، فالليالي الوتريَّة في بعض الأقطار؛ تكون زوجيَّة في أقطار أُخرى، فالاحتياط التماس ليلة القدر في جميع ليالي العشر.

قال الإمام ابن الجوزي: وفي تسميتها بليلة القدر خمسة أقوال:

---

(١) القدر: ١ – ٥.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: "وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافا كثيرا وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولا كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما" ثم ذكر الأقوال. ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٦٢). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.



أحدها: أنَّها ليلة عظيمة، يُقال: لفلان قدر. قال الزهري: ويشهد له: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[١].

والثاني: أنَّه الضيق. أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون. قال الخليل بن أحمد: ويشهد له: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[٢].

والثالث: أنَّ القدر الحكم، كأنَّ الأشياء تُقدَّر فيها، قاله ابن قتيبة.

والرابع: أنَّ مَن لم يكن له قدرٌ صار بمراعاتها ذا قدر، قاله أبو بكر الوراق.

والخامس: لأنَّ نزل فيها كتابٌ ذو قدر، وينزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر[٣].

قال الشيخ ابن العثيمين- رحمه الله-: وفي هذه السورة الكريمة فضائل مُتعدِّدة لليلة القدر:

الفضيلة الأولى: أنَّ الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

الفضيلة الثانية: ما يدلُّ عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ فهذا على سبيل التعظيم لها، والتشويق إلى خبرها.

الفضيلة الثالثة: أنَّها خير من ألف شهر. قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ فقيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر من هذا الزمان، وهي أفضل من عبادة كلِّ تلك المدَّة.

الفضيلة الرابعة: أنَّ الملائكة تتنزَّل فيها، وهم لا ينزلون إلَّا بالخير والبركة والرحمة. قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ هذا يدلُّ على كثرة الرحمة والبركة فيها، فإنَّ الملائكة ينزلون مع تنزُّل البركة والرحمة، كما يتنزَّلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحِلَق الذكْر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له.

الفضيلة الخامسة: أنَّها سلام، لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

الفضيلة السادسة: أنَّ الله أنزل في فضلها سورة كاملة تُتلى إلى يوم القيامة[٤].

---

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٩٢).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٣٤٥).



كيفية إحياء ليلة القدر: قال ابن رجب: وأمَّا العمل في ليلة القدر؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال:" مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه" رواه البخاري[١].

وقيامها إنَّما هو إحياؤها بالتهجُّد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة- رضي الله عنها- بالدعاء فيها، فقد كان النبي ﷺ يتهجَّد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مُرتَّلة، لا يمرُّ بآيةٍ فيها رحمة إلَّا سأل، ولا بآيةٍ فيها عذاب إلَّا تعوَّذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكُّر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها، وقال الشعبي في ليلة القدر: ليلُها كنهارها[٢].

ولقد سئل ابن تيمية- رضي الله عنه- عن ليلة القدر، فأجاب: الحمد لله، ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، هكذا صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال:" هي في العشر الأواخر من رمضان"[٣]، وتكون في الوتر منها. لكن الوتر يكون باعتبار الماضي فتطلب ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، ويكون باعتبار ما بقي؛ كما قال النبي ﷺ:" لتاسعة تبقى، لسابعة تبقى، لخامسة تبقى، لثالثة تبقى"[٤]؛ فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين؛ يكون ذلك ليالي الأشفاع، وتكون ليلة الاثنين والعشرين تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى، وهكذا فسَّره أبو سعيد الخدري- رضي الله عنه- في الحديث الصحيح، وهكذا أقام النبي ﷺ في الشهر، وإن كان الشهر تسعًا وعشرين كان التاريخ بالباقي كالتاريخ الماضي، وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحرَّاها المؤمن في العشر الأواخر جميعه، كما قال النبي ﷺ:" تحرُّوها في العشر الأواخر" رواه البخاري ومسلم[٥]، وتكون في السبع الأواخر أكثر، وأكثر ما تكون ليلة سبع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠١) كتاب الصوم باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية. ورواه مسلم (١/ ٥٢٣) برقم (٧٦٠) بتقديم وتأخير، كتاب صلاة المسافرين وقصرها بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٤) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٠) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٢٠٦) برقم (٩٢٢). مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٥) برقم (١١٥٦) كتاب التهجد باب فضل من تعار من الليل فصلى ولفظه: «أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها من العشر الأواخر». ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٣) برقم (١١٦٥) كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان.



وعشرين؛ كما كان أبي بن كعب يحلف أنَّها ليلة سبع وعشرين . فقيل له: بأي شيء علمتَ ذلك؟ فقال: بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ:" أَنَّهَا تَطْلُعُ يَومَئذٍ لا شُعَاعَ لَهَا" رواه مسلم[١][٢].

وختامًا: قد يكشف الله ليلة القدر لبعض الناس في المنام أو اليقظة، فيرى أنوارها أو يرى مَن يقول له: هذه ليلة القدر، وقد يفتح على قلبه من المشاهدة ما يتبيَّن به الأمر. والله تعالى أعلم .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٨) برقم (٧٦٢) كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٨٤).



٢٤ رمضان

تذكُّر الإنسان ما أنعم الله عليه من النعم

أنعم الله على الإنسان بنعمٍ ظاهرة وباطنة، وهي نعمٌ كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، ولو بدأ الإنسان بعدِّ هذه النعم فسيبدأ بنفسه، إذ إنَّ أكبر نعمة أنعمها الله عليه هي خلقه في أحسن تقويم وأجمل صورة، كما جعل هيئته مستقيمة، وميَّزه عن جميع المخلوقات بالعقل، وسخَّر له جميع المخلوقات من حيوانات ونباتات وجمادات؛ ليستفيد منها ويستخدمها لمصلحته، ووفَّر له جميع سُبُل الحياة الكريمة، كما أرسل إليه الأنبياء والرسل ليدلُّوه على عبادة الله تعالى، والتخلُّص من ظلمة الكفر والعبوديَّة لغيره سبحانه، ويرشدوه إلى الخير وطريقة استغلال النعم بالشكل الأمثل. قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾[1]، وأعظم نعم الله علينا خلْق الإنسان في أحسن هيئة، وهدايته لما يُحبُّ الله ويرضى من أجل أن يعمل بتعاليم دينه، وينال رضا الله، وتوفيقه في الدنيا والآخرة، والعبد الصالح هو الذي يشكر الله على كلِّ نعمةٍ هو فيها حتى يزيده الله، ويبارك له في تلك النعم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾[2].

ونعم الله أنواع، ألا وهي: نعمة حاصلة يعلم بها العبدُ ظاهرةً عليه، ونعمة مُنتظَرة يرجوها العبد ويسعى لينالها، ونعمة هو فيها ولا يشعر بها، فكلُّ شيء في حياة العبد مهما قلَّ؛ هو نعمة من الله عز وجل، وإنَّ من أعظم النعم التي منَّ الله بها علينا لهي نعمة البصر، والتي تُعدُّ من أكبر النعم التي نملكها، ولولاها لما أبصرنا الأشياء من حولنا، وكم من فاقدٍ مُتمنٍّ لها، ونعمة السمع، والنطق، والإحساس، والحبِّ، والأمل، والكثير الكثير من النعم تزخر بها نفوسنا وأجسادنا وحياتنا، وتجعلنا دائمي الشكر والامتنان لله عز وجل؛ لأنَّ في الشكر أيضًا سعة في الرزق، وزيادة في النعم طالما الخير بيد الله عز وجل، والقضاء بأمره، فإنَّ سعادتنا بالأشياء حولنا مرتبطة برضاه عز وجل، وكلَّما رضي الله عن عبده أسبغ عليه بالنعم وزاده من السعادة والرخاء؛ لأنَّ لك عند الله مكانة إمَّا أن تنالها بالصبر، أو تنالها بالشكر، فيكون الصبر على الابتلاء الذي هو نعمة للعبد المؤمن والشكر على النعم والثناء عليها، ولذلك فإنَّ على العبد أن يكون مُوقنًا بتلك النعم مُقدِّرًا لها، وأن لا يكون مُتجاهلًا

---

(١) النحل: ١٨.

(٢) إبراهيم: ٧.



عاصيًا ربَّه، فإنَّ النعم تُقيَّد بالشكر، وتزول بالكفر، والله عز وجل غنيٌّ عن عباده، غير أنَّ الإنسان في حاجة دائمة للتقرُّب إلى الله حتى ينال سعادة الدنيا والآخرة.

نعم الله كثيرة وعظيمة، فالزوجة الصالحة نعمة، والأبناء، والصحة، والأهل، والأصدقاء، والعمل، وكلُّ المظاهر التي تتمثَّل فيها هذه النعم في حياتنا؛ لهي أكبر دليلٍ على أنَّ الإنسان محظوظ برعاية الله، وأنَّ الله كريمٌ واسع الكرم، وقد يبتلي الله العبد في جانب من حياته فيعوضه عن هذا الابتلاء بالخير الكثير، لذا يجب على كلِّ ذي نعمة أن يُقدِّرها، ويكون دائم الشكر لله عز وجل، ويصرفها في طاعة الله حتى تستمر هذه النعم وتدوم.

والمتأمِّل في منهج القرآن؛ يلحظ أنَّ الله يحضُّ عباده على دوام ذِكْر النِّعَم، وذلك في مواضع كثيرةٍ، منها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[١]، وقوله: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٢]، وكان السلف الصالح يتقرَّبون إلى الله بذكْر النِّعَم، وأخبارهم كثيرة في هذا، فقد جلس الفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة يتذاكران النِّعَم إِلَى الصباح[٣]، وقرأ الفضيل ليلة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾[٤]، فبكى، فسُئل عن بكائه فقال: هل بِتَّ ليلةً شاكرًا لله أن جعل لك عينينِ تُبصرُ بهما؟ هل بِتَّ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك لسانًا تنطق به؟ وجعل يُعدِّد من هذا النوع[٥].

ولتذكُّر النِّعَم فوائد تربوية عظيمة، منها: محبَّة الله عز وجل على إحسانه وإنعامه؛ فمَن أحبَّ اللهَ وأحبَّه اللهُ؛ فقد ظفر بالغاية القصوى، والمقصد الأسنى؛ فحُبُّ الله عز وجل أصلٌ عظيمٌ من أصول الإيمان، ومصدر السعادة للإنسان في دنياه وأُخراه، والمحبَّة درجات متفاوتة، بعضها أكمل من بعض، وتنقسم باعتبار الباعث عليها إلى: محبَّة بدافع الإجلال والكمال، ومحبَّة تنشأُ من التفكير في نِعَم الله الباطنة والظاهرة.

---

(١) الأحزاب: ٩.

(٢) المائدة: ٢٠.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر (ص: ٤١). الشكر، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: بدر البدر، الناشر: المكتب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

(٤) البلد: ٨ – ٩.

(٥) ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٧٥). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.



ويفصل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- بقوله: أصل المحبَّة هو معرفة الله سبحانه وتعالى، ولها أصلان: الأصل الأول: وهو الذي يقال له محبَّة العامَّة لأجل إحسانه إلى عباده.

وهذه المحبَّة- على هذا الأصل- لا يُنكرها أحدٌ، فإنَّ القلوب مجبولة على حبِّ مَن أحسن إليها وبُغض مَن أساء إليها، والله سبحانه هو المنعِم المحسِن إلى عبده بالحقيقة، فإنَّه المتفضِّل بجميع النعم وإن جرت بواسطة؛ إذ هو مُيسِّر الوسائط ومُسبِّب الأسباب، والأصل الثاني: هو محبَّته لما هو له أهل، وهذا حُبُّ مَن عَرَف مِن الله ما يستحقُّ أن يُحبَّ لأجله، وما من وجه من الوجوه التي يُعرَف الله بها- ممَّا دلت عليه أسماؤه وصفاته- إلَّا وهو يستحقُّ المحبَّة الكاملة من ذلك الوجه، حتى جميع مفعولاته؛ إذ كلُّ نعمة منه فضل، وكلُّ نقمة منه عدل؛ ولهذا استحقَّ أَن يكون محمودًا على كل حال، ويستحقُّ أَن يُحمَد على السراء والضراء، وهذا أعلى وأكمل، وهذا حُبُّ الخاصَّة[1]، وقد ذمَّ الله مَن أضاف النعم إلى نفسه وعِلْمِه وقوته، ولم يضفها إلى فضل الله وإحسانه، كما قال تعالى حكاية عن قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ﴾[3]؛ أي: علم من الله أنِّي أهلٌ لهذه النعمة ومُستحِقٌ لها، أو على علم منِّي؛ أي: لمعرفتي بطرق تحصيلها، نظرًا لخبرتي وقوتي وذكائي، وليكن معلومًا أنَّ العبد إن اجتهد في العمل والطاعة بعدد الرمال، والتراب والحصى، والقَطْر وعدد أنفاس الخلائق، وعدد ما خلق الله؛ فإنَّه لن يُوفِّي الله شكر نعمة واحدة.

وهناك أنواعٌ مختلفة وكثيرة من النعم، وهي: العامَّة والخاصَّة من أقوى الأدلَّة على وحدانية الله وقدرته، وعظيم كرمه وجوده في تلبية حاجة عبيده، ورحمته بهم في تحقيق حوائجهم ومصالحهم، ومن الشواهد على ذلك- من القرآن الكريم - أنَّ سورة النحل تُسمَّى بسورة النِّعَمِ، وذلك بسبب ما عدَّد الله فيها من نعمه على عباده، وقد ختم الله عز وجل كثيرًا من آيات تعداد النعم فيها بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، وبعضها تكرَّر أكثر من مرَّة؛ وذلك ليحثَّ عباده على التذكُّر والتفكُّر في نعمه، والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال؛ لتبقى القلوب موصولة بالله عند كل حركة

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨٤).

(٢) القصص: ٧٨.

(٣) الزمر: ٤٩.



في الحياة، لا تغفل عن مراقبته سبحانه، ولا تتبلَّد بالركود والغفلة والنسيان، لذلك يجهل الكثير من الناس أهمية النعم التي لديهم، ولا يحسنون استغلالها ولا يشكرون الله عليها، لكنهم لا يعرفون قيمتها إلَّا إذا فقدوها، ومن بين هذه النعم نعمة البصر والسمع والصحَّة التامَّة والجسد القوي، ولو مرَّ الإنسان بمرضٍ ما يسلبه هذه النعم؛ فيعرف وقتها حجم الصعوبة التي يواجهها في حياته، لذلك فإنَّ الشكر على النعم يعني دوامها، ويجب أن يكون الشكر لله تعالى والثناء عليه في كلِّ وقتٍ؛ لأنَ جزاء الإحسان بالإحسان.



٢٥ رمضان

من أحكام الزكاة (زكاة الأموال)

الزكاة من أفرض الفرائض وأوجب الواجبات، ومن أهم أركان الإسلام، ولا تصلح حياة المسلمينَ إلَّا بها، فبالزكاة تسود المحبَّة والإخاء، وبالزكاة تختفي الشحناء والبغضاء، وعدم إخراجها طريق الفساد، وهلاك العباد، وخراب البلاد، وسخط ربِّ العباد، قال ﷺ:" مَنْ آتاهُ اللهُ مالًا فلمْ يُؤَدِّ زكاتَهُ؛ مُثِّلَ لهُ مالُهُ شُجاعًا أَقْرَعَ، لهُ زَبِيبَتانِ يُطَوَّقُهُ يومَ القيامةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ- يَعني بشدْقَيْهِ- يقولُ: أنا مالُكَ، أنا كنزُكَ، ثمَّ تلا هذهِ الآيةَ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[١]" رواه البخاري[٢].

وقال ﷺ: "ويَكونُ كنزُ أحدِهِم يومَ القيامةِ شجاعًا أقرعَ يفرُّ منهُ صاحبُهُ ويطلبُهُ؛ أَنا كَنزُكَ، فلا يزالُ حتَّى يُلْقِمَهُ إصبعَهُ" رواه البخاري[٣].

وتُعدُّ الزكاة الرُّكن الثالث مِن أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة، وثبت وجوبها في الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فمن القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٤]، وأمَّا من السُّنَّة فجزءٌ من حديث النبي ﷺ:" فأعْلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ في فُقَرائِهِمْ" رواه مسلم[٥]، وأما الإجماع فقد انعقد إجماع المسلمين في جميع العصور على وجوب الزكاة إذا توفَّرت شروطها، وأيضًا إجماع الصحابة الكرام على قتال مانعيها.

وقد فرضها الله سبحانه وتعالى في شهر شوال من السنة الثانية من الهجرة.

وتتمثَّل أهمية الزكاة في كونها وسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي، والتراحم والتعاطف بين المسلمين، والتعاون لتسيير الظروف المعيشية لمن يستحقُّ الزكاة، فيسود الأمن والرخاء في المجتمع،

---

(١) آل عمران: ١٨٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٩) برقم (٤٥٦٥) كتاب تفسير القرآن باب (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة، ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير).

(٣) رواه البخاري في صحيحه قريبًا من هذا اللفظ (٩/ ٢٣) برقم (٦٩٥٧) كتاب الحيل باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرق، خشية الصدقة.

(٤) البقرة: ٤٣.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٤) برقم (١٣٩٥) كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٠) برقم (١٩) كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.



ولذلك تجب الدقَّة في حساب الزكاة وإخراجها، وفي إيصالها إلى المستحقِّين لها، والتأكُّد من استحقاقهم إياها، ولقد أوجب الله تعالى الزكاة في عدَّة أنواع من المال، وهي إمَّا مُتعلِّقة بالعين؛ كالأنعام، أو بالقيمة؛ كالتجارة، وبيانها (الأنعام؛ وهي الإبل والبقر والغنم)، ولا تجب في غيرها من أنواع الحيوانات. وإمَّا عروض التجارة؛ وتكون مُتعلِّقة بالقيمة، ويوجد لكل مال من أموال الزكاة مقدار ونصاب مُحدَّد في الشرع، وهما الذهب والفضة، فنصاب الذهب بالأوزان المعاصرة ٨٥ جرامًا من الذهب الخالص، وأمَّا الفضة فنصابه ٥٩٥ جرامًا من الفضة الخالصة، ومقدار الزكاة فيه ربع العشر؛ أي: ٢,٥%، ولا فرق بين أن يكون الذهب والفضة نقودًا أم تبرًا أم حُليًّا، وعلى هذا فتجب الزكاة في حُليِّ المرأة من الذهب والفضة إذا بلغ نصابًا، ولو كانت تلبسه أو تعيره؛ لعموم الأدلَّة الموجبة لزكاة الذهب والفضة بدون تفصيل، ولأنَّه وردت أحاديث خاصَّة تدلُّ على وجوب الزكاة في الحُليّ وإن كان يُلبَس، مثل ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-:" أنَّ امرأةً أتتْ رسولَ اللهِ ﷺ ومعها ابنةٌ لها، وفي يدِ ابنتِها مَسكتانِ غليظتانِ مِن ذهبٍ، فقالَ لها: أتُعطينَ زَكاةَ هذا؟ قالت: لا، قالَ: أيسرُّكِ أن يسوِّرَكِ اللَّهُ بهما يومَ القيامةِ سوارينِ من نارٍ؟ قالَ: فخلعَتْهُمَا فألقتْهُمَا إلى النَّبيِّ ﷺ وقالت: هُما للَّهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه"رواه أبو داود[(١)]، ولأنَّه أحوط، وما كان أحوط فهو أولى.

ومن الأموال التي تجب فيها الزكاة؛ عروض التجارة، وهي كلُّ ما أُعدَّ للتجارة من عقارات وسيارات، ومواشٍ وأقمشة، وغيرها من أصناف المال، والواجب فيها ربع العشر، فيُقوّمها على رأس الحول بما تساوي، ويُخرِج رُبع عشره، سواء كان أقلَّ ممَّا اشتراها به أم أكثر أم مساويًا؛ فأمَّا ما أعدَّه لحاجته، أو تأجيره من العقارات والسيارات والمعدات ونحوها فلا زكاة فيه؛ لقول النبي ﷺ:" ليس على المسلِمِ في عبدِه ولا في فَرَسِه صَدَقةٌ" رواه البخاري[(٢)].

ولوجوب الزكاة في المال العديد من الشروط، وهي فيما يأتي[(٣)]:

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٩٥) برقم (١٥٦٣) كتاب الزكاة باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلي. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٧١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه قريبًا من هذا اللفظ (٢/ ١٢١) برقم (١٤٦٤) كتاب الزكاة باب: ليس على المسلم في عبده صدقة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٦) برقم (٩٨٢) كتاب الزكاة باب لا زكاة على المسلم في عبده وفرسه.

(٣) ينظر هذه الشروط في: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٤)؛ الجامع لمسائل المدونة (٤/ ١)؛ التنبيه في الفقه الشافعي (ص: ٥٥)؛ الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٣٧٩). التنبيه في الفقه الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ)، إعداد: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



١- الحرية، فالزكاة لا تجب على العبد؛ لعدم ملكه، لقول النبيّ ﷺ:" ومَنِ ابْتاعَ عَبْدًا فَمالُهُ لِلَّذِي باعَهُ، إلَّا أنْ يَشْتَرِطَ المبْتاعُ" رواه البخاري[١]، ويرى جمهور الفقهاء وجوبها على سيده؛ لأنَّه مالكٌ له، كما أنَّها لا تجب على المكاتب؛ لأنَّه في حكم العبد من حيث عدم ملكه للمال.

٢- الإسلام؛ فلا تجب الزكاة على غير المسلم بإجماعِ الفقهاء؛ أي لا تُقبَل منه، لِقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[٢]، ولكنه مُحاسَبٌ عليها في الآخِرة، وأمَّا المرتدُّ فلا تسقط عنه في حال كانت ردَّتُه بعد وجوب الزكاة عليه، وهذا عند الشافعية[٣] والحنابلة[٤]، ويرى الحنفية سقوطها عنه بالردَّة[٥].

٣- العقل والبلوغ، ذهب الحنفية إلى عدم وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون مطلقًا أو في بعض أموالهما[٦]؛ لأنَّ الزكاة من العبادات التي تحتاج إلى نيَّة، وكلاهما مُفتقِرٌ إليها، كما أنَّ التكليف قد سقط عنهما، وذهب الجمهور[٧] إلى وجوب الزكاة عليهما في جميع الأموال، وهو قول عمر، وابنه عبد الله، وعائشة- رضي الله عنهم-، وعدد من الصحابة الكرام؛ لأنَّ المقصود من أداء الزكاة شكر الله سبحانه وتعالى، وتطهير المال، كما أنَّ أموالهما لا تخلو من النفقات فلا تضيق عن الزكاة، ويتولَّى وليُّهما إخراج الزكاة عنهما.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٥) برقم (٢٣٧٩) كتاب المساقاة باب الرجل يكون له ممر أو شرب في حائط أو في نخل. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٧٣) برقم (١٥٤٣) كتاب البيوع باب من با ع نخلا عليها ثمر.

(٢) التوبة: ٥٤.

(٣) قال في التنبيه في الفقه الشافعي (ص: ٥٥): "وإن كان مرتدًا ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: تجب. والثاني: لا تجب. والثالث: إن رجع إلى الإسلام وجب. وإن لم يرجع لم يجب".

(٤) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٣٧٩).

(٥) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٤).

(٦) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٢/ ٢٩٧).

(٧) ينظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٥٣٣)؛ الجامع لمسائل المدونة (٤/ ٣٧)؛ المغني لابن قدامة (٢/ ٤٦٥). بداية المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر الأسدي الشافعي ابن قاضي شهبة (٧٩٨ - ٨٧٤ هـ)، عنى به: أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني، بمساهمة: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.



٤- بلوغ النصاب، وهو القدر المحدَّد من قِبَل الشرع في وجوب الزكاة عند بلوغه، وأي مقدار أقل منه فلا تجب فيه الزكاة.

٥- الملك التامُّ والقدرة على التصرُّف في المال؛ لأنَّ الزكاة هي تمليك المال للمستحقِّين له، والتمليك فرعٌ عن الملك، وقد دلَّ على هذا الشرط العديد من الآيات، كقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴾[١]؛ فقد أضاف الله سبحانه وتعالى المال إلى صاحبه.

٦- النماء؛ وذلك بأن يكون المال ناميًا، مثل: الذهب والفضة وعروض التجارة.

٧- حولان الحول، وهو مُضِي عامٍ قمريٍّ على بلوغ المال النصاب، وهذا الشرط في غير الزروع، وذهب الحنفية إلى بلوغ النصاب في طرفي الحول، ولا يضر إن نقص خلال الحول[٢]، وأمَّا الشافعية فيرون بلوغ النصاب في جميع الحول، وإذا نقص خلاله فلا تجب فيه الزكاة[٣]، وأمَّا المالكية والحنابلة فيشترطون الحول في الأعيان، وهي: الذهب والفضة والأنعام وعروض التجارة، ولا تجب في غير ذلك، وأضاف الحنابلة اعتبار النصاب في جميع الحول[٤].

٨- الخلو من الدَّين، وهو شرط عند الحنفية في غير الزروع[٥]، وأمَّا عند الحنابلة فهو شرطٌ في جميع الأموال[٦]، وأمَّا المالكية فيرون اشتراطه في الأعيانِ فقط[٧]، وأمَّا الشافعية فلم يشترطوا ذلك.

٩- الزيادة عن الحاجات الأساسيَّة، وهي التي يدفع بها الإنسان الهلاك عن نفسه، كالنفقة والسكن وغير ذلك.

---

(١) المعارج: ٢٤.

(٢) ينظر: النهر الفائق شرح كنز الدقائق (١/ ٤٤٢). النهر الفائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: سراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي (ت ١٠٠٥هـ)، المحقق: أحمد عزو عناية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) ينظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٤٩٣).

(٤) ينظر: الجامع لمسائل المدونة (٤/ ١)؛ المغني لابن قدامة (٢/ ٤٦٧).

(٥) ينظر: النتف في الفتاوى للسغدي (١/ ١٦٩). النتف في الفتاوى، المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السُّغْدي، حنفي (المتوفى: ٤٦١هـ)، المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي، الناشر: دار الفرقان / مؤسسة الرسالة - عمان الأردن / بيروت لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

(٦) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٣٨١).

(٧) ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٣٦٨).

قال الشاعر:

أيُّهـا المستـكينُّ أنفِـقْ جـزيلًا   ودع الـركضَ في الحيـاةِ طـويلًا
كـلُّ مـالٍ جمعتْـه في اصـطبارٍ   مـرَّةً وافـرًا وأخـرى قلـيلًا
سوفَ يغـدو لوارثيكَ قريبًا   كي يُبيدوه بُكرةً وأصـيلًا(١)

وأخيرًا: قد تكونُ زكاة المال عاملًا من عوامل القضاء على البطالة في المجتمع، إذ قد يمتلك الفقير بها قدرةً على افتتاح عمله الخاصِّ ولو كان بسيطًا؛ ليتحوَّل بذلك مِن مُحتاجٍ إلى مُنتِج. فيتحقَّق بها التكافُل الاجتماعي بين فئات المجتمع من خلال مدِّ الغني يد العون للفقير والمحروم، فتزرع الأُلفة، والمودَّة، والأخوَّة بين أفرادِ المجتمع الواحد.

(١) الأبيات للدكتور حيدر الغدير من قصيدة له بعنوان: "أيها المال". ينظر موقع الألوكة:
https://www.alukah.net/literature_language/0/50888/%D8%A3%D9%8A%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%84-%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9/.

٢٦ رمضان

مصارف الزكاة

الزكاة من أهم أركان الإسلام، ومن أعدل صور الشريعة الإسلامية، أوجبها الله عز وجل على المسلمين، وحدَّد مُستحقِّيها، فتُعطَى لثمانية أصناف، وورد دليل ذلك في القرآن الكريم في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾[١]؛ فقد عيَّن الله في هذه الآية المستحقِّين للزكاة، وأنهم ثمانية أصناف، وتفصيلهم على النحو الآتي:

الأول والثاني: الفقراء والمساكين: ولقد اختلف العلماء في التفريق بين لفظي الفقير والمسكين، فالفقير عند الشافعية والحنابلة[٢] حاجته أكثر من حاجة المسكين، واستدلوا على ذلك من القرآن الكريم، لقول الله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾[٣]، كما أنَّ ذكْر الفقراء قبل المساكين دليل على أنَّ حاجتهم أشدُّ، أمَّا الحنفية والمالكية[٤]؛ فالمسكين عندهم حاجته أكثر من حاجة الفقير، واستدلوا بذلك من القرآن الكريم، لقول الله تعالى: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾[٥]، فالآية تدلُّ على أنَّ المسكين مُلقًّى على التراب من شدَّة الجوع، وقد جعل الشافعية والحنابلة مُسمى الفقر على من لم يجد المال ولا القدرة على الكسب، كأن تكون حاجته عشرة دراهم ولا يستطيع إيجاد أو توفير درهم منها ليقتات به، أو لا يستطيع أن يوفر أقل من نصف حاجته، والمسكين هو من تكون حاجته عشرة دراهم مثلًا، ويستطيع إيجاد نصفها أو أكثر، أمَّا الحنفية والمالكية فقالوا إنَّ المسكين هو من لا يستطيع أن يُوفِّر قوت يومه وحاجته، ويضطر

---

(١) التوبة: ٦٠.

(٢) ينظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٣/ ١٢٧)، الشرح الكبير على المقنع (٧/ ٢٠٧). الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، المؤلف: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) الكهف: ٧٩.

(٤) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٤٣)؛ الذخيرة للقرافي (٣/ ١٤٤). الذخيرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، المحقق: جزء ١، ٨، ١٣: محمد حجي، جزء ٢، ٦: سعيد أعراب، جزء ٣ - ٥، ٧، ٩ - ١٢: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.

(٥) البلد: ١٦.



لسؤال الناس لإعطائه، والفقير عند الحنفية هو من يملك مقدارًا من المال لكن لا يصل لحد النصاب، والفقير عند المالكية هو من يملك مقدارًا من المال والقوت ولا يكفي لعام[١].

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: والمعتبَر ليس فقط ما يكفيه للأكل والشرب، والسكنى والكسوة فحسب، بل يشمل حتى الإعفاف؛ أي: النكاح، فلو فرض أنَّ الإنسان محتاج إلى الزواج وعنده ما يكفيه لأكله وشربه وكسوته ومسكنه، لكن ليس عنده ما يكفيه للمهر، فإنَّنا نُعطيه ما يتزوَّج به ولو كان كثيرًا[٢].

الثالث: العاملون عليها، وهم الجُباة الذين يقومون بجمع مال الزكاة، والحفاظ عليها، وتوزيعها على من يستحقُّها، ويُشترَط في العاملين عليها: أن يكون مسلمًا على الأرجح؛ لأنَّها ولاية على المسلمين؛ فلا تُوكل إلى غير المسلم، وأن يكون مُكلَّفًا، والمكلَّف هو البالغ العاقل، وأن يكون أمينًا، وأن يكون أهلًا لما يقوم به، وأن يكون عالمًا بأحكام الزكاة، ويكون العطاء بقدر الكفاية؛ فعن المستورد بن شدَّاد- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" مَن كان لنا عاملًا فليكتسبْ زوجة، فإن لم يكن له خادمٌ فليكتسب خادمًا، فإن لم يكن له سكنٌ فليكتسب مسكنًا" رواه أبو داود[٣].

الرابع: المؤلَّفة قلوبهم: فمنهم قوم كُفَّار يُرجى بتأليفهم إسلامهم؛ كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية إبلًا كثيرة مُحمَّلة كانت في وادٍ، فقال: هذا عطاء مَن لا يخشى الفقر، وعنه قال:" لقد أعطاني رسولُ اللهِ ﷺ يومَ حُنينٍ وإنَّه لَمِن أبغضِ النَّاسِ إليَّ، فما زال يُعطيني حتَّى إنَّه لَأحبُّ الخَلقِ إليَّ" أخرجه ابن حبَّان[٤]، ويُشترَط أن يُرجَى كفُّ شرِّه عن المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وأن يُرجَى بإعطائه قوَّة إيمانه. قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: والعلَّة أنَّه إذا كان يُعطَى لحفظ البدن وحياته؛ فإعطاؤه لحفظ الدين وحياته من باب أَولى"[٥]، ويدخل في هذا القسم من أسلم من يهودي أو نصراني، وقد سُئل الزهري عن المؤَلَّفةِ قُلُوبُهُمْ؛ فقال: مَن أسلم من يهودي أو نصراني، قيل: وإن كان غنيًّا؟ قال: وإن كان غنيًّا[٦].

---

(١) ينظر المصادر المتقدمة قريبًا.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٢٢١).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٣٤) برقم (٢٩٤٥) كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أرزاق العمال. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١١٠٧).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (١١/ ١٥٩) برقم (٤٨٢٨) كتاب السير، ذكر العلة التي من أجلها كان يعطي صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ما وصفنا. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ١٨٦).

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٢٢٧).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٣٥) برقم (١٠٧٦٢).



فالمؤلَّفة قلوبهم قد يكونون مسلمين أو غير مسلمين، وقد يكونون شرفاء أو أعزاء في قومهم أو قبيلتهم، فغير المسلم يُرجَى بعطيته إسلامه أو دفْع مضرَّته عن الإسلام والمسلمين، والمسلم يُرجَى بعطيته حُسْن إسلامه وإسلام نظيره، وتكون العطية بالقدر الذي تتحقَّق به المصلحة. والمقصود بهذا المصرف تقوية شوكة الإسلام، والحفاظ على مكانته.

الخامس: في الرقاب والعبيد: أي الأرقّاء والمكاتَبون، والجمع رقبة، وهم العبيد والإماء، والمقصود بقوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾؛ أي: تحريرهم، وليس معنى الآية أن نُعطي العبيد مالًا؛ إنَّما المقصود تخليصهم من الرق، ويشمل هذا المصرف المكاتبين أيضًا أي: الذين اشتروا أنفسهم من أسيادهم لينالوا الحرية مقابل مال يدفعونه على أقساط، فيُعان هؤلاء بدفع هذه الأقساط، سواء أعطيناه في يدِه ليوفِّي سيده، أو أعطينا سيده قضاءً عنه، سواء علم العبد بما دفع له أو لم يعلم.

السادس: الغارمون جمع غارم: وهو من لحقه الغُرْم؛ أي: الإلزام بالمال وهو المدين، وأمَّا صاحب المال، فيُقال عنه: الغريم أو الدائن، والغارم نوعان: الأول: الغارم لإصلاح ذات البين: وهو الذي يُصلح بين القبائل المتشاجرة، ويلتزم في ذمَّته مالًا عوضًا عمَّا بينهما، فهؤلاء يُعطون من مال الزكاة ولو كانوا أغنياء؛ فعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فأتَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ أسْأَلُهُ فيها، فقالَ: أقِمْ حتَّى تَأْتِيَنا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لكَ بها، قالَ: ثُمَّ قالَ: يا قَبِيصَةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إلَّا لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمالَةً، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَها ثُمَّ يُمْسِكُ، ورَجُلٍ أصابَتْهُ جائِحَةٌ اجْتاحَتْ مالَهُ، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِن عَيْشٍ- أوْ قالَ: سِدادًا مِن عَيْشٍ-، ورَجُلٌ أصابَتْهُ فاقَةٌ حتَّى يَقُومَ ثَلاثَةٌ مِن ذَوِي الحِجا مِن قَوْمِهِ: لقَدْ أصابَتْ فُلانًا فاقَةٌ، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِن عَيْشٍ- أوْ قالَ: سِدادًا مِن عَيْشٍ-، فَما سِواهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ- يا قَبِيصَةُ- سُحْتًا، يَأْكُلُها صاحِبُها سُحْتًا" رواه مسلم[1].

السابع: في سبيل الله: أي الطريق الموصِّلة إلى مرضاته، وجمهور العلماء على أنَّ المراد هنا الغزو، فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" لا تحلُّ الصدقة لغنيٍّ إلَّا لخمسةٍ؛ منهم: الغازي في سبيل الله" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[2].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٢) برقم (١٠٤٤) كتاب الزكاة باب من تحل له المسألة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٩٦) برقم (١١٥٣٨). وأبو داود في سننه (٢/ ١١٩) برقم (١٦٣٥) كتاب الزكاة باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٩٠) برقم (١٨٤١) كتاب الزكاة باب من تحل له الصدقة. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٣٧٧).



الثامن: ابن السبيل هو المسافر الذي انقطع في سفره، ولم يتبقَ معه نفقة لينفق على نفسه، أو للعودة لبلده، فيُعطَى من الزكاة بمقدار ما يُحقِّق مصلحته، حتَّى وإن كان غنيًّا في بلده.

ختامًا: إنَّ الزكاة ركنٌ من أكان الإسلام، ويجب إعطاؤها لمستحقِّيها؛ كالفقراء والمساكين وابن السبيل والمؤلفة قلوبهم، كما يُمتنع صرف الزكاة لغير مصارفها، وكذلك للأثرياء والأقارب الذين تجب على المزكِّي نفقتهم.



٢٧ رمضان

زكاة الفطر

زَكاة الفطر هي الزكاة التي تكون بسبب الإفطار من شهر رمضان المبارك، وتُسمَّى بزكاة الرؤوس والرِقاب والأبدان، ويُطلَق عليها أيضًا اسم صدقة الفطر؛ فلفظ الصدقة يُطلَق على الزكاة الواجبة على المسلم، وتُسمَّى بزكاة الفِطرة؛ أي الخلقة من الفِطرة؛ أي كأنَّها زكاة للنفس، وتطهير لها وتنقيةٌ.

وقد فُرضت زكاة الفطر في السنة الثانية من الهجرة، في السنة ذاتها التي فُرِض فيها صيام رمضان.

وقد ذكر أهل العلم وجهين لتسميتها بزكاة الفطر:

الوجه الأوَّل: أنَّ المقصود بالفِطر ما يُقابل الصوم؛ أي الإفطار من الصوم، ويكون ذلك حين اكتمال شهر رمضان، وبدءِ شهر شوال.

والوجه الثاني: الفَطْر؛ أي الخَلق، من الخَلقة، وبذلك اعتبِرت من زكاة الجَسد، قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾[(١)].

ولقد اتَّفقَّ جمهور أهل العلم على أنَّ زكاة الفطر واجبة على المسلم[(٢)]، استدلالًا بحديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه قال: قَالَ رَسولَ اللهِ ﷺ:" فَرَضَ زَكَاةَ الفِطْرِ مِن رَمَضَانَ علَى النَّاسِ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ، علَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنَ المسْلِمِينَ" رواه مسلم[(٣)].

وذهب المالكية في قول آخر عندهم أنَّ زكاة الفطر سُنَّة، وذلك بعد أن كانت مفروضة، ونُسِخت بوجوب زكاة الأموال؛ استدلالًا بما روي عن قيس بن سعد- رضي الله عنه-:"كنَّا نصومُ عاشوراءَ، ونؤدِّي زَكاةَ الفطرِ، فلمَّا نزلَ رمَضانُ ونزلتِ الزَّكاةُ؛ لم نُؤمَر بِهِ ولم نُنهَ عنهُ، وَكُنَّا نفعلُهُ" رواه النسائي[(٤)]، وقيل: يقصد المالكية بأنَّ زكاة الفطر سُنَّةٌ؛ أي أنَّها واجبةٌ في السُّنَّة كما ثبت عن النبيّ ﷺ[(٥)].

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) وحكى الماوردي الإجماع على وجوبها. ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٦٩)؛ المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٤٢٩)؛ الحاوي الكبير (٣/ ٣٤٨)؛ المغني لابن قدامة (٣/ ٧٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٠) برقم (١٥٠٣) كتاب الزكاة باب فرض صدقة الفطر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٧) برقم (٩٨٤) كتاب الزكاة باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير.

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨) برقم (٢٢٩٧) كتاب الزكاة، فرض صدقة الفطر قبل نزول الزكاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٦/ ١٥٠).

(٥) ينظر: روضة المستبين في شرح كتاب التلقين (١/ ٤٨٥). روضة المستبين في شرح كتاب التلقين، المؤلف: أبو محمد، وأبو فارس، عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي المعروف بابن بزيزة (المتوفى: ٦٧٣هـ)، المحقق: عبد اللطيف زكاغ، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

ولقد شرع الله تعالى زكاة الفطر؛ لِما في ذلك من تطهيرٍ للصائم ممَّا قد يقع به من الكلام، وزلل اللسان، والأقوال غير المقبولة، إضافةً إلى أنَّ فيها إطعامًا للفقراء والمساكين، وفي الحديث:" فَرَضَ رسولُ اللهِ ﷺ صدقةَ الفطرِ؛ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفثِ، وطُعْمَةً لِلْمَساكِينِ ، فمَنْ أَدَّاها قبلَ الصَّلاةِ فهيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، ومَنْ أَدَّاها بعدَ الصَّلاةِ فهيَ صدقةٌ مِنَ الصدقةِ" أبو داود(١).

ويشترط لوجوب زكاة الفطر عدَّة شروطٍ:

الإسلام: فزكاة الفطر تجب على كل مسلمٍ؛ سواءً كان رجلًا أو امرأة، حرًّا أو عبدًا، صغيرًا أو كبيرًا؛ استدلالًا بما رُوِي عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- إذ قال:" إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الفِطْرِ مِن رَمَضَانَ علَى كُلِّ نَفْسٍ مِنَ المسْلِمِينَ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، أَوْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ؛ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ" رواه مسلم(٢).

القدرة المالية: ويقصد بذلك أن يملك المسلم ما يكفيه من قُوته، وقُوت عياله، وزيادة على يوم العيد وليلته، مع توفُّر الحاجات الأصلية.

النيَّة: إذ إنَّ زكاة الفطر عبادة من العبادات، ولا بُدَّ من النيَّة فيها؛ لقول الرسول ﷺ:" إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى" رواه البخاري(٣)، وتتحقَّق النيَّة في القلب قبل أداء الزكاة، ولا تصحُّ بعده، وكذلك لا يصحُّ تبديلها أو تغييرها.

دخول الوقت: فتجب زكاة الفطر على كل مسلم بغروب شمس آخر يوم من أيام شهر رمضان.

أمَّا فيما يتعلَّق بوقت إخراج زكاة الفطر؛ فقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أنَّ زكاة الفطر تجب بغروب شمس آخر يومٍ من شهر رمضان؛ أي ليلة عيد الفطر؛ إذ إنَّها أُضيفت إلى الفِطر، فوجبت بتحقُّقه(٤).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ١١١) برقم (١٦٠٩) كتاب الزكاة باب زكاة الفطر. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٨٥) برقم (١٨٢٧) كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٣٣٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٨) برقم (٩٨٤) كتاب الزكاة باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

(٤) ينظر: التبصرة للخمي (٣/ ١١١١)؛ عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج (١/ ٤٩٥)؛ الشرح الكبير على المقنع (٧/ ١١٣). التبصرة، المؤلف: علي بن محمد الربعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي (المتوفى: ٤٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م. عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج، المؤلف: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المعروف بـ «ابن النحوي» والمشهور بـ «ابن الملقن» (المتوفى: ٨٠٤ هـ)، ضبطه على أصوله وخرج حديثه وعلق عليه: عز الدين هشام بن عبد الكريم البدراني، الناشر: دار الكتاب، إربد — الأردن، عام النشر: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.



وقال الحنفية بوجوب إخراج زكاة الفطر عند طلوع فجر يوم عيد الفطر؛ إذ إنَّ الزكاة أُضيفت إلى الفطر، ممَّا يعني أنَّها مُختصَّةٌ به، ويتعلَّق الفِطر باليوم لا بالليل(١).ومقدار زكاة الفطر صاعٌ من طعام البلد الذي يأكله أهله؛ فقد يكون صاعًا من تمرٍ، أو من شعيرٍ، أو غيرهما؛ استدلالًا بحديث ابن عمر- رضي الله عنهما-:" أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ" رواه مسلم(٢)، ويُقدَّر الصاع بأربعة أمداد، ويُقدَّر المدُّ بما يملأ كفَّي الإنسان المعتدل، ويُقدَّر الصاع وزنًا بثلاثة كيلوجرامات تقريبًا.ولقد تعدَّدت آراء أهل العلم في أنواع الأطعمة التي يُؤدِّيها المسلم عن زكاة الفطر، وذهبوا في ذلك إلى ثلاثة أقوالٍ:

القول الأول: قال الحنفية إنَّ زكاة الفطر تُؤدَّى فقط بأربعة أنواعٍ من الأطعمة، وهي: (الزبيب، والقمح، والشعير، والتمر) (٣). القول الثاني: قال الشافعية والمالكية بوجوب زكاة الفطر من غالب قوت أهل البلد، وحدَّدها المالكية بتسعة أصنافٍ لا يصحُّ أداء الزكاة من غيرها، وهي: (القمح، والشعير، ونوع منه يسمى بـ (السُّلت)، ونوع من النبات يسمى بـ (الدخن)، والتمر، والزبيب، واللبن اليابس) (٤).القول الثالث: قال الحنابلة بوجوب زكاة الفطر ممَّا نصت عليه الأحاديث النبوية؛ فتكون من (القمح، والشعير، والتمر، والزبيب، واللبن اليابس)، وإن لم يتوفّر أحدها؛ فإنَّ زكاة الفطر تُؤدَّى من الحبوب، والثمار المتخَذة قوتًا وطعامًا غالبًا لأهل البلد(٥).

وأمَّا إخراجها مالًا فلا يجوز مطلقًا، وللعلماء في كيفية إخراج زكاة الفطر أقوال عدَّة: القول الأول: ذهب جمهور أهل العلم إلى القول بعدم جواز إخراج زكاة الفطر بدفع قيمتها نقدًا؛ لعدم ورود أي نصٍ يدلُّ على صحَّة ذلك، ولأنَّ قيمة الشيء في حقوق الناس لا تكون إلا في حال التراضي بين الطرفَين، وهذا الأمر لا يمكن تطبيقه على زكاة الفطر؛ لعدم وجود مالك مُحدَّد(٦).

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٧٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٠) برقم (١٥٠٣) كتاب الزكاة باب فرض صدقة الفطر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٧) برقم (٩٨٤) كتاب الزكاة باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٧٢).

(٤) ينظر: التبصرة للخمي (٣/ ١١١٧)؛ مختصر المزني (٨/ ١٥١).

(٥) ينظر: الإرشاد إلى سبيل الرشاد (ص: ١٣٩). الإرشاد إلى سبيل الرشاد، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي موسى الشريف، أبو علي الهاشمي البغدادي (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٦) ينظر: التهذيب في اختصار المدونة (١/ ٤٨٩)؛ الحاوي الكبير (٣/ ١٧٩)؛ الفروع وتصحيح الفروع (٤/ ٢٦٦). التهذيب في اختصار المدونة، المؤلف: خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، أبو سعيد ابن البراذعي المالكي (المتوفى: ٣٧٢هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

القول الثاني: قال الحنفية بجواز دفع القيمة في إخراج زكاة الفطر؛ من باب التسهيل، والتيسير على الفقراء، فيقضي بها الفقير ما يحتاجه من الأشياء التي قد تغيب عن علم مُؤدِّي الزكاة، أما في أوقات الشدَّة، وعدم وفرة الحبوب، فالأولى دفع العين من باب مراعاة مصلحة الفقير(١)، وقد أفتى الإمام ابن تيمية بجواز إخراج القيمة في حال كانت أنفع للفقير واقتضتها مصلحته، أو اختارها الفقير بنفسه لكونها أنفع له(٢). وقد تظهر فوائد لإخراجها قوتًا كما في حالات الاحتكار وارتفاع الأسعار والحروب والغلاء، ولو قال قائل: النقود أنفع للفقير ويشتري بها ما يشاء وقد يحتاج شيئًا آخر غير الطعام، ثم قد يبيع الفقير الطعام ويخسر فيه؛ فالجواب عن هذا كله أنَّ هناك مصادر أخرى لسدِّ احتياجات الفقراء في المسكن والملبس وغيرها، وذلك من زكاة المال والصدقات العامة والهبات وغيرها، فلنضع الأمور في نصابها الشرعي ونلتزم بما حدَّده الشارع وهو قد فرضها صاعًا من طعام:" طُعمة للمساكين"، ونحن لو أعطينا الفقير طعامًا من قوت البلد فإنَّه سيأكل منه، ويستفيد عاجلًا أو آجلًا؛ لأنَّ هذا ممَّا يستعمله أصلًا.

ولقد نظم في أقوال العلماء في إخراج زكاة الفطر قيمةً

إِخْـرَاجُ قِيمَـةِ زَكَـاةِ الْفِطْـرِ	فِيـهِ خِـلَافٌ بَـيْنَ أَهْـلِ الـذِّكْر
فَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ أَنَّ الْمُجْزِي	إِخْرَاجُهَـا حَبًّـا بِمِثْـلِ الأُرْزِ
أَوْ بِالتُّمُورِ أَوْ بِقَمْحٍ أَوْ شَعِيرْ	كَمَا أَتَى فِيمَا رَوَوْا عَنِ الْبَشِيرِ
وَذَاكَ رَأْيُ مَالِـكٍ وَالشَّـافِعِي	وَالْحَنْبَلِـيّ ذِي الْمَقَـالِ النَّـافِعِ
أَمَّا الْإِمَـامُ التَّابِعِيُّ الْحَنَفِي	فَقَدْ رَأى إِخْرَاجَهَا نَقْدًا يَفِي(٣)

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٧٣).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ٨٢).
(٣) النظم لمحمد الحافظ بن دياها. ينظر:
https://www.facebook.com/116705645059426/posts/1520208084709168/?locale=ar_AR.

٢٨ رمضان

التوبة فضلها وآدابها

يضعف المسلم في بعض الأحيان فيقع في المحرَّمات، ومن رحمة الله تعالى به بأن فتح له باب التوبة؛ فمن تاب بعد ذنبه تاب الله تعالى عليه، والتوبة التي أمر الله تعالى بها هي التوبة النصوح الواردة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)]، والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلِّها التي عقدها العبد لله لا يريد بتوبته إلَّا وجه الله والتقرُّب منه، ويستمرُّ على توبته في جميع أحواله، ورحمة الله واسعة على عباده المسرفين بالذنوب والمتجاوزين لحدوده، فقد رغَّبهم في التوبة فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[(٢)].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثُّهم على الإنابة قبل أن لا يُمكنهم ذلك فقال: {قُلْ} يا أيُّها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرًا للعباد عن ربِّهم: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} باتِّباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب. {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا: قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مُصرِّين على العصيان، مُتزوِّدين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربَّكم بأسمائه الدالَّة على كرمه وجوده، واعلموا أنَّه يغفر الذنوب جميعًا من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيَّان، لا تنفكُّ ذاتُه عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود. تسحُّ يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويُوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحبُّ إليه من

---

(١) التحريم: ٨.

(٢) الزمر: ٥٣- ٥٤.



المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب؛ إن لم يأت بها العبد فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها- بل لا سبب لها غيره- الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرُّع والتألُّه والتعبُّد. فهلُمَّ إلى هذا السبب الأجلِّ، والطريق الأعظم[(١)].

وللتوبة شروط؛ قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى-: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلَّق بحقِّ آدميٍّ فلها شروط ثلاثة وهي:

١- أن يُقلع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدًا.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، ويُزاد شرط رابع إذا كان الذّنب يتعلَّق بحقِّ آدميٍّ: أن يبرأ من حقِّ صاحبه؛ فإن كان مالًا أو نحوه ردَّه إليه، وإن كان حدَّ قذفٍ مكَّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحلَّه منها، هذا إذا لم يترتَّب على ذلك مفسدة أعظم، ويجب أن يتوب من جميع الذّنوب، فإن تاب من بعضها صحَّت توبته من ذلك الذّنب[(٢)]. والتوبة من ترك المأمور أولى من التوبة من فعل المحظور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: من تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذّنوب، وإن لم يستحضر أعيان الذّنوب إلَّا أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص، مثل أن يكون بعض الذّنوب لو استحضره لم يتب منه، لقوَّة حُبِّه إيَّاه، أو لاعتقاده أنَّه حسن ليس بقبيح، فما كان من ذنب لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأمَّا ما كان لو استحضره بعينه لكان ممَّا يتوب منه؛ فإنَّ التوبة العامة شاملة له.

وأمَّا التوبة المطلقة: وهي أن يتوب توبة مجملة، فإنَّها لا تستلزم التوبة من كل ذنب. فهذه لا توجب دخول كل فرد من أفراد الذنوب فيها، ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق، لكن هذه تصلح أن تكون سببًا لغفران المعيَّن، كما تصلح سببًا لغفران الجميع، بخلاف التوبة العامة فإنَّها مُقتضية للغفران العام[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٢٧).

(٢) ينظر: رياض الصالحين (ص: ٣٣). رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢٨).



ومن فضائلها أنَّ التوبة توجب محبَّة الله تعالى، وفرحه بالعبد التائب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[(١)]، وقال النبي ﷺ:" لَلَّهُ أَفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بالفَلَاةِ، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإذا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ" رواه مسلم[(٢)].

ومن فضائلها وأسرارِها: أن يعرف المذنِب كرم الله وستره، وسعة حلمه، وأنَّه سبحانه لو شاء لعاجله على الذنب، ولهتَك ستره بين العباد؛ فلم يطِب له عيشٌ معهم أبدًا، ويعرف أيضًا كرم اللهِ في قبول التوبة، فلا سبيل إلى النجاة إلَّا بعفو الله، وكرمه، ومغفرته؛ فهو الذي جاد عليه بأن وفَّقه للتوبة، وألهمه إيَّاها، ثم قبِلها منه. قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٣)].

ومن فضائلها وأسرارِها: أن يعامل العبد بني جنسه في زلاتهم وإساءاتهم بما يُحِبُّ أن يُعامله الله به في إساءاته وزلَّاته وذنوبه؛ فإنَّ الجزاء من جِنس العمل؛ فمَنْ عَفَا عُفِيَ عنه، ومَن استقصى استَقْصَى اللهُ عليه.

ومن فضائلها وأسرارِها: إقامة المعاذير للخلق، فإذا أذنب العبد أقام المعاذيرَ للخلق، واتسعت رحمته لهم، واستراح العصاة من دعائه عليهم، وقنوطه من هدايتهم؛ فإنَّه إذا أذنب رأى نفسه واحدًا منهم، فهو يسأل اللهَ المغفرة لهم، ويرجو لهم ما يرجوه لنفسه، ويخاف عليهم ما يخافه على نفسه.

قال الشاعر:

يَا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فلقدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عفوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فَمَنِ الذي يَدْعُو ويَرْجُو المجرمُ
سوف أَدْعُوكَ رَبِّ كما أمرتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدَّتَ يَدِي فمن ذا يَرْحَمُ
مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ[(٤)]

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٢) برقم (٢٦٧٥) كتاب التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها.

(٣) النور: ٣١.

(٤) الأبيات لأبي نواس كما في كشف الخفاء (٢/ ٧٢). كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



والتوبة سبيل لإغاظة الشيطان ومراغمته: فالقلب يذهل عن عدوه؛ فإذا أصابه منه مكروه استجمعت له قُوَته، وطلب بثأره إن كان قلبه حرًّا كريمًا؛ كالرجل الشجاع إذا جُرِح فإنَّه لا يقومُ له شيء، بل تراه بعدها هائجًا، طالبًا، مقْدامًا. والقلب المهين كالرجل الضعيف المهين؛ إذا جُرِح ولى هارِبًا، والجراحات في أكتافه.

وللتوبة آداب أهمها: التوجُّه إلى الله تعالي بقلب طاهر، والدعاء بصوت ملؤه الحزن والأسي والخشية، والتوجُّه إلي الله تعالي بمنتهى الخشوع والتواضع والانكسار، بحيث يكون التائب مطأطئ الرأس، منحني الظهر، وقد أحاطت الرعشة بقدميه فجعلته يرتعدُ، وقد اصطكَّت فرائصُه، وفاضت عيناه بالدموع بحيث سالت دموعه على خدِّيه، والالتفات إلى أنَّ الله تعالى لا يعظم عليه العفو عن الذنب العظيم، ولا يصعب عليه التجاوز عن الإثم الكبير، ولا يشقُّ عليه التجاوز عن الجرائم.

ختامًا: لا سبيل إلى الفلاح إلَّا بالتوبة والرجوع ممَّا يكرهه الله: ظاهرًا وباطنًا؛ إلى ما يُحِبُّه: ظاهرًا وباطنًا، ودلَّت هذه الآية على أنَّ كلَّ مؤمنٍ مُحتاج إلى توبة؛ لأنَّ الله خاطب المؤمنين جميعًا.



٢٩ رمضان

جوامع الدعاء

الدعاء من أجلِّ العبادات وأحبِّها إلى ربِّ البريات، وهو سمة العبودية واستشعار الافتقار لله والانكسار بين يديه والذلة.

والدعاء عبادة؛ قال ﷺ:" الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" رواه الترمذي(١)، وهو طاعة لله، وامتثال لأمره؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٢).

والدعاء أكرم شيء على الله تعالى؛ قال ﷺ:" لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ". رواه أحمد(٣).

والدعاء هو الوسيلة التي يستطيع بها العبد أن يخاطب الله تعالى ويطلب منه ما يتمنَّى. كما أنَّ من الناس من يطلب الولد، والبعض يطلب الرزق، والبعض يطلب الزواج، وغير ذلك من الأمور التي يتمنَّاها العبد في حياته الدنيا، فقد كان صلى الله عليه وسلم يختار في دعائه جوامع الدعاء، وهو الذي يحوي الكلمات القليلة مع سعة المعنى وشموله، واحتوائه على أجلِّ المقاصد، وأعلى المطالب، وقد أُوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، وكان من سُنَّته صلى الله عليه وسلم أن يدعو بجوامع الدعاء، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ" رواه أبو داود(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٢٩٧) برقم (١٨٣٥٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٦) برقم (١٤٧٩) كتاب الصلاة باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٢١١) برقم (٣٥١٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٤) برقم (١١٤٠٠) كتاب التفسير، سورة غافر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٥٨) برقم (٣٨٢٨) كتاب الدعاء باب فضل الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٤٦).

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٣٦٠) برقم (٨٧٤٨). والترمذي في جامعه (٥/ ٤٥٥) برقم (٣٣٧٠) أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٥٨) برقم (٣٨٢٩) كتاب الدعاء باب فضل الدعاء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٦٥). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٧) برقم (١٤٨٢) كتاب الصلاة باب الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٨٨٧).



لذلك ذكر الله تعالى في كتابه العظيم كثيرًا من الأدعية؛ لندعو بها أثناء تلاوة القرآن، وفي صلاتنا وسجودنا، وفي كل حال، ومن أكثرها شمولًا وله معانٍ عظيمة ما يأتي:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[١]، وقال ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]، وقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٤].

ومن السُّنَّة النبوية الصحيحة فقد ثبت عن النبي ﷺ الكثير من جوامع الدعاء، التي تحتوي كلمات مختصرة، ومعانيها تشمل الكثير ممَّا يحتاجه المسلم ويطلبه من ربِّه، ومن هذه الأدعية ما يأتي:

" اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي، لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ" رواه البخاري[٥].

" اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأخْلَاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ ليسَ إلَيْكَ، أَنَا بكَ وإلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ" رواه مسلم[٦].

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) آل عمران: ١٩٣- ١٩٤.

(٤) النمل: ١٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧١) برقم (٦٣٢٣) كتاب الدعوات باب ما يقول إذا أصبح.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٤) برقم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.



" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلكَ مِنَ الخَيرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلكَ مِنْ خَيرِ مَا سَأَلكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ" رواه أحمد(١).

ومن الجوامع للدعاء أيضًا: دعاء باستقامة القلوب على كل ما يُحبُّه الله تعالى ويرضاه، والثبات على ذلك، لهذا كان أكثر دعاء النبي ﷺ:" يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ؛ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" رواه الترمذي(٢)، وجاء عنه ﷺ أنَّه كان يدعو:" اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ؛ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ" رواه مسلم(٣).

ومن جوامعه أيضًا ما ورد عن عبد الله بن عمر– رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ أنَّه كان يدعو:" اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا" رواه الترمذي(٤).

ومن جوامعه ﷺ أيضًا ما ورد عن أنس بن مالك– رضي الله عنه– قال رسول الله ﷺ لفاطمة– رضي الله عنها–:" ما يَمنعُكِ أنْ تسمَعِي ما أُوصِيكِ بهِ؟ أنْ تقولِي إذا أصبحتِ وإذا أمسيْتِ: يا حيُّ يا قيُّومُ؛ برحمتِكِ أستغيثُ، أصلِحْ لِي شأنِي كلَّهُ، وَلَا تكِلْنِي إلى نفسِي طرْفةَ عيْنٍ" رواه النسائي(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ٤٧٤) برقم (٢٥٠٩) وتتمته: «محمد صلى الله عليه وسلم، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء تقضيه لي خيرا». وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٦٤) برقم (٣٨٤٦) كتاب الدعاء باب الجوامع من الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٥٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ١٦٠) برقم (١٢١٠٧). والترمذي في جامعه (٤/ ٤٤٨) برقم (٢١٤٠) أبواب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٦) برقم (٧٦٩٠) كتاب النعوت، قوله: ولتصنع على عيني. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٣٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥) برقم (٢٦٥٤) كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٥٢٨) برقم (٣٥٠٢) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٤) برقم (١٠١٦١) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٢٧٢).

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢١٢) برقم (١٠٣٣٠) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٠١٣).



ومن جوامع دعاؤه ﷺ:" اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ" رواه أحمد[١]. ومن جوامعه في الاستغفار؛ ما ورد عن شدَّاد بن أوس- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لَا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ؛ فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ؛ فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ" رواه البخاري[٢]. ومن جوامع أدعيته ﷺ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ" رواه ابن ماجه[٣]. ومن أدعيته ﷺ الجامعة ما روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ"[٤]. وهذا دعاء رائع من أدعية النبي ﷺ الجامعة عن ابن عبَّاس- رضي الله عنه-:" رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي- أي خطيئتي-، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي" رواه الترمذي[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٨) برقم (١٧٢٣). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٨٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) برقم (٦٣٠٦) كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٣) برقم (٣٨٧١) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ٣٧١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٧) برقم (٢٧٢٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٥٢) برقم (١٩٩٧). وأبو داود في سننه (٢/ ٨٣) برقم (١٥١٠) كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل إذا سلم. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٤) برقم (٣٥٥١) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٢٤) برقم (١٠٣٦٨) كتاب عمل اليوم والليلة، الاستنصار عند اللقاء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٥٩) برقم (٣٨٣٠) كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٨١).

ختامًا: أسأل اللهَ تعالى أن ينفع بهذه الأدعية الجامعة المباركة جميعَ المسلِمين، وأختم بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

(١) الحشر: ١٠.



٣٠ رمضان

صلاة العيد

إنَّ من رحمة الله تعالى بالمسلمين أن جعل لهم عبادات عظيمة يتقرَّبون بها إليه سبحانه وتعالى، وجعل لهم بعد انقضاء هذه العبادات أعيادًا يفرحون بها بفضل الله تعالى ورحمته أن وفَّقهم لأداء هذه العبادات وإتمامها، فعيد الفطر يأتي بعد عبادة الصيام، وعيد الأضحى يأتي بعد عبادة الحج، وإنَّ أوَّل ما يبتدئ به المسلم يوم عيده أن يُكبِّر الله تعالى، وأن يُصلِّي لله سبحانه صلاة العيد شكرًا على تمام نعمة الله بأداء الطاعات والعبادات، فينتقل المسلم في أعياده من امتثال لأمر إلهي بأداء العبادة، إلى أمر بالفرح بأدائها، ومن عبادة إلى عبادة، وكذا حياة المؤمن في جميع مراحلها، يتنقَّل فيها من طاعة إلى طاعة، امتثالًا لتوجيه الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، ولهذا فإنَّ صلاة العيد أصبحت من شعائر الإسلام التي شرعها لنا الإسلام وندبنا لأدائها، لما فيها من إظهار للفرح والسرور، وتعظيم لشعائر الله تعالى، وإظهار لشعار المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[2].

وصلاة العيد هي الصلاة التي يُؤدِّيها المسلمون يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى، وعددها ركعتان، وفيها عدد من التكبيرات الزائدة عن غيرها من الصلوات، وصلاة العيد شريعة من شرائع الله تعالى الظاهرة، وهي عبادة خاصَّة تميَّزت بها أمة محمد ﷺ؛ فهي تُعتبَر أحد خصائصها، وتأتي هذه الشعيرة العظيمة خاتمة لعبادتين عظيمتين هما صيام رمضان وحجُّ بيت الله الحرام، وهي باب من أبواب شكر الله تعالى على هذه العبادات، بالإضافة إلى أنَّها داعية لاجتماع المسلمين وتوادِّهم وتراحُمهم وتصافي قلوبهم، وهي بركة وطُهر للمسلمين، كما أنَّها من أفضل النوافل، وهي من النوافل التي يأجر الله تعالى عباده عليها، إلَّا أنَّه لم يرد في فضلها أجرٌ مُحدَّد، ولكنَّها تدخل ضمن الأعمال الصالحة التي فيها طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، وطاعتهما هو سبب من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

---

(١) الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

(٢) الحج: ٣٢.



ويدور الحكم الفقهي لصلاة العيد بين ثلاثة أقوال:

١- الحنفية: ذهبوا إلى أنَّها واجبة؛ فأوجبوها على من تجب عليه الجمعة، إلَّا أنَّهم لم يُوجبوا خطبتها، وذهبوا إلى أنَّها سُنَّة، ودليلهم على وجوب صلاة العيد مواظبة النبي ﷺ على أداء صلاة العيد[١].

٢- المالكية والشافعية: ذهبوا إلى أنَّها سُنَّة مُؤَكَّدة في حقِّ من تجب عليه الجمعة؛ حيث تجب الجمعة على كلِّ ذكرٍ بالغٍ حُرٍّ مُقيمٍ في البلد الذي تُقام فيه الجمعة، وعند الشافعية تُشرَع للمنفرد كما تُشرَع للجماعة، وتُشرَع للمرأة والصبي، والمسافر والصغير والخنثى، ولا تُشرَع عند المالكية للصبي والمرأة والمسافر، واستدلَّ الشافعية والمالكية على أنَّها سُنَّة لأنَّ النبي ﷺ داوم عليها، ولقوله للأعرابي الذي سأل عن الصلاة:" خَمْسُ صَلَوَاتٍ في اليَومِ واللَّيْلَةِ. فَقالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ" رواه البخاري[٢][٣].

٣- الحنابلة: ذهبوا إلى أنَّ حكم صلاة العيدين فرض كفاية؛ فإن فعلتْها جماعة من المسلمين سقطتْ عن الباقين، وقد فعلها النبي ﷺ وخلفاؤه من بعده، ولكنَّها ليست فرضَ عينٍ على كل مسلم[٤].

وأقل عددٍ لصلاتها هو أربعون شخصًا، ويبدأ وقت صلاة عيد الأضحى عند ارتفاع الشمس في السماء على قدر رمح، أمَّا وقت صلاة الفطر فيبدأ عند ارتفاع الشمس بمقدار رمحين.

وعدد ركعات صلاة العيد ركعتان باتفاق الفقهاء، ودليل ذلك قول عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-:" صلاةُ الجمُعةِ رَكْعتانِ، وصلاةُ الفطرِ رَكْعَتانِ، وصلاةُ الأضحَى رَكْعتانِ، وصَلاةُ السَّفرِ رَكْعتانِ؛ تمامٌ غيرُ قَصرٍ على لِسانِ مُحمَّدٍ" رواه النسائي[٥].

---

(١) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/ ٣٧)؛ تحفة الفقهاء (١/ ١٦٥). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. تحفة الفقهاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٨) برقم (٤٦) كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٠) برقم (١١) كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام.

(٣) ينظر: الإشراف على نكت مسائل الخلاف (١/ ٣٤٢)؛ المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٣٢٠)؛ الحاوي الكبير (٢/ ٢٨١). الإشراف على نكت مسائل الخلاف، المؤلف: القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (٤٢٢هـ)، المحقق: الحبيب بن طاهر، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) ينظر: الهداية على مذهب الإمام أحمد (ص: ١١٣)؛ المغني لابن قدامة (٢/ ٢٧٢). الهداية على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني، المحقق: عبد اللطيف هميم – ماهر ياسين الفحل، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٨٦) برقم (١٧٤٥) كتاب الجمعة، كم صلاة الجمعة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٤/ ٦٤).



صلاة العيد ركعتان؛ يُصلِّيهما المسلم بعد ارتفاع شمس يوم العيد، فيأتي الإمام فيقف خلفه المأمومون، فيُكبِّر جهرًا تكبيرة الإحرام رافعًا بها يديه، ويُكبِّرون وراءه، رافعين بالتكبير أيديهم، ويسكت الإمام سكتة تَسَعُ ثلاث تسبيحات، ثم يُكبِّر سبع تكبيرات، يسكت بين كل تكبيرة وأخرى بمقدار ثلاث تسبيحات، ويُكبِّر المأمون وراءه، ولهم أن يرفعوا أيديهم عند كل تكبيرة، ثم يقرأ الإمام الفاتحة وسورة بعدها، ثم يركع ثم يرفع، ثم يسجد، ثم يجلس ثم يسجد ثم يقوم للركعة الثانية، فيُكبِّر خمس تكبيرات بعد تكبيرة القيام، والناس وراءه يُكبِّرون مثلما فَعلوا في الركعة الأولى، ولو زاد تكبيرة أو نقص تكبيرة سهوًا أو عمدًا، فلا شيء عليه.

ويُشرَع قضاء صلاة العيد لمن فاتتْه متى شاء فى باقى اليوم أو فى الغد وما بعده أو متى اتَّفقَ كسائر الرواتب، وإن شاء صلَّاها على صفة صلاة العيد بتكبير، وإلى ذلك ذهب الإمامان: مالك والشافعي[(١)]؛ ولأنَّه قضاء صلاة، فكان على صفتها كسائر الصلوات، وهو مُخَيَّرٌ إن شاء صلَّاها وحده، وإن شاء فى جماعة، وإن شاء مضى إلى المصَلَّى، وإن شاء حيث شاء.

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: والأفضل يُعيدُها، أمَّا إذا قلنا بالوجوب العيني وجب القضاء. أمَّا بالقول بأنَّها كفاية أو أنَّها سُنَّة استُحبَّ قضاؤها ركعتين[(٢)].

وإنَّ لصلاة العيد العديد من السنن والآداب، ومنها ما يأتي:

الصلاة في مكان واسع خارج المدينة أو البلدة، وذلك من باب إظهار شعيرة الصلاة واجتماع المسلمين.

تقديم صلاة عيد الأضحى، وتأخير صلاة عيد الفطر.

الأكل قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر، ويُسنُّ أكْل تمرات، أمَّا في عيد الأضحى فيُسنُّ تأخيرُ الأكل لما بعد الصلاة.

التبكير في الذهاب لصلاة العيد، وذلك ليكون قريبًا من الإمام، وليأخذ أجر انتظار الصلاة.

الاغتسال والتطيُّب والتجمُّل ولبْس أفضل الثياب.

الوعظ والتذكير في خطبة العيد، وحثُّ الناس على فضائل الأعمال وأمور الدين، وترغيبهم في أجر الأضحية وتبيين أحكامها، ووعظ النساء وتذكيرهنَّ.

---

(١) ينظر: شرح التلقين (١/ ١٠٦٣)؛ البيان في مذهب الإمام الشافعي (٢/ ٦٥١). شرح التلقين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦هـ)، المحقق: سماحة الشيخ محمَّد المختار السّلامي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

(٢) ينظر موقع الشيخ عليه رحمة الله: https://binbaz.org.sa/categories/fiqhi/42?page=11.



الإكثار من ذكر الله تعالى، والتكبير على وجه الخصوص لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]، ويُسنُّ للرجال الجهر بالتكبير في الطرق والأسواق، وللنساء السِرُّ به.

الذهاب إلى صلاة العيد من طريق والرجوع من طريق آخر، وذلك ليشهد له الطريقان بالخير، وفي ذلك إظهار لشعيرة الإسلام، وقد فعل النبي ﷺ ذلك فيما رواه جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال:" كانَ النبيُّ ﷺ إذَا كانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ" رواه البخاري[٢].

وليس لصلاة العيد راتبة قبلها ولا بعدها؛ لأنَّها سُنَّة وليست فرضًا، ولم يثبت أنَّ رسول الله ﷺ صلى راتبة قبلها أو راتبة بعدها؛ عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال:" خرج رسول الله ﷺ يوم العيد فصلَّى ركعتين، لم يُصلِّ قبلها ولا بعدها" رواه البخاري[٣].

ختامًا: العيد اسمٌ لكلِّ ما يُعتاد ويعود ويتكرَّر، والأعياد شعارات توجد لدى كل الأمم؛ سواء أكانت كتابية أم وثنية أم غير ذلك، وذلك لأنَّ إقامة الأعياد ترتبط بغريزة وجبلة طُبع الناس عليها، فكلُّ الناس يُحبُّون أن تكون لهم مناسبات يحتفلون فيها، ويجتمعون ويُظهرون الفرح والسرور، ولقد اختصَّ الله المسلمين بهذين العيدين لا غير، ولا يحلُّ للمسلمين أن يتشبَّهوا بالكفَّار والمشركين في شيء ممَّا يختصُّ بأعيادهم، لا من طعام ولا من لباس.

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٣) برقم (٩٨٦) أبواب العيدين باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد.

(٣) رواه البخاري في صحيحه بلفظ قريب منه (٢/ ١٩) برقم (٩٦٤) أبواب العيدين باب الخطبة بعد العيد. ومسلم في صحيحه بلفظ قريب منه (٢/ ٦٠٦) برقم (٨٨٤) كتاب صلاة العيدين باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلى.


تم بحمد الله